كراكيب

قصص قصيرة

(الطبعة الثالثة فبراير - ١٩٨٧)

تأليف : **فؤاد حجازى**

المراسلات :
عمارة الفردوس - ش أبو جلبة - بجوار مدرسة
الشيخ حسنين - المنصورة ت : ٣٤٧١٦٨

الغلاف : هديه من الفنان **أحمد بكر**

« **كراكيب** » فؤاد حجازى

١ - الكتابة على أجنحة الفضاء الابداعى

بقلم / على عبد الفتاح

بشغف عميق ، بعشق جامح ينتفض عصفور فى القلب ، يبحث ، ينقب ، بسافر ، يندس فى ثوب الحياة ، فى بريقها ، يرتدى الحياة بصخبها وفورتها ، يتوغل فى الألق الساطع من عيون الأطفال ، فى الشجو المنساب فى اصوات الفقراء ، فى التحدى الهادر فى اعماق الانسان ، ينتفض عصفور فى القلب ليذوب فى الناس والأشياء والأشجار والأطيار والزهور ، ونهر النيل ، والقرى والكفور والنجوع والأوز الأبيض الذى يسبح فى دعة على صفحة النهر ويرجع جماعات الى مأواه آخر النهار ، يذوب عصفور القلب فى عيون الوطن ، والإنسان ليولد فجرا جديدا وزمنا جديدا يشرق على صفحة الحياة ويحلق عصفور القلب ينقش كتاباته على أجنحة الفضاء الإبداعى ، فهل حقا عندما انتفض هذا العصفور فى صدر فؤاد حجازى فى منتصف الخمسينيات ، هل كان مقدرا له أن يهاجر ويهاجر ليدخل مملكة الشمس وينقش (فنه) على أجنحة الفضاء الابداعى ؟

ان فؤاد حجازى حين يتذكر رحلة عصفور القلب مع فنه ــ عالم القصة القصيرة /الرواية المسرحية / ويرويها لنا ، يمكننا ان نحدد اللحظة التى انتفض فيها هذا العصفور داخل صدر فؤاد حجازى وصار يضرب بجناحيه حتى شق القلب وراح يغرد فى الفضاء الإبداعى ، ومنذ تلك اللحظة التى انتفض فيها العصفور حتى الآن ، ثلاثون عاما ، ترى ماالذى يذكره فؤاد حجازى وهو يسبح فى هذا الفضاء الخرافى اللامتناهى ؟

« أول قصة قصيرة نشرتها هى .. « عم ابراهيم » .. فى مجلة الثقافة عدد رقم ٧ فى ٣ / ٩ /١٩٦٣ وكتبت أول قصة فى عام ١٩٥٦ بعد العدوان الثلاثى على بورسعيد حين ذهبت اليها للبحث عن عمل وأخفقت فى ذلك وعدت إلى المنصورة وتصادف أن قرأت .. جوركى .. وأحسست أنى أستطيع الكتابة .. »[1].

ان تجربة الحرب (العدوان الثلاثى ١٩٥٦) هى التى أيقظت عصفور القلب ، فانساق فؤاد حجازى واعيا او غير واع إلى الاشتباك مع العالم حوله ، واتخذ هذا الصراع أنموذج الإنسان المصرى الذى يدافع عن وطنه حين كان فؤاد حجازى

---

١ ــ انظر حوار كاتب الدراسة مع فؤاد حجازى بجريدة الرأى العام الكويتية ١٢ أكتوبر ١٩٨٦ .

متطوعا مع الفدائيين فى بورسعيد ، ثم عبر هذا الصراع عن الواقع الاجتماعى بكل مآسيه عندما أخفق فى الحصول على فرصة للعمل بعد الحرب ، بل اكتشف أن هؤلاء الذين ساعدوا قوى المقاومة أثناء العدوان وخاضوا الحرب بشرف ودافعوا عن الوطن لم يكن لديهم مورد رزق ، ولم يجدوا من يساعدهم لتجاوز هذه المأساة .

ويعود فؤاد حجازى الى بلدته (المنصورة) [٢] مهزوما مع الواقع الاجتماعى السياسى ، مطعونا فى أعماقه لسقوطه فى مأساة لم تدميه وحده وانما مأساة شعب . ولأن عصفور القلب ينزف ، ذهب فؤاد حجازى يبحث فى الكتب عن عزاء له ، فقرأ (جوركى) — وكان فى تلك الفترة حاصلا على الثانوية العامة وفى انتظار نتيجة القبول بالجامعة — ، وفى الحقيقة لمست اعمال (جوركى) جراحات فؤاد حجازى بوصفه للبيئات الفقيرة وعذاباتها وفواجعها فهى لاتختلف كثيرا عما عايشه « فؤاد » وعاناه .

وأحس بشىء يدفعه إلى كتابة كل ما حدث له فى الحرب

---

٢ — فؤاد حجازى من مواليد المنصورة فى ٨ / ١٢ / ١٩٣٨ ويعمل موظفا بالوحده المحلية لمدينة ومركز المنصورة .

وبعد الحرب ، فكتب قصة فى البحث عن عمل ولكنها كانت أقرب إلى موضوعات (الإنشاء) .

ولأن فؤاد حجازى أصبح قلقا مقلقا بأنات عصفور القلب الذى يبحث عن فجوة ليحلق فى الفضاء ، ليذوب فى الجموع والأشياء والكائنات ، لم يجد فؤاد حجازى بدا أن يبيع بعض (البطاطين) التى كانت معه من بقايا عهدته فى حرب ١٩٥٦ ويدفع من ثمنها رسوم اشتراك فى امتحان مسابقة للعمل فى الوحدات المجمعة ، (المجالس القروية الآن) ، فاقترب من عالم القرية والمزارعين والناس البسطاء والبيئات التى يسكنها الفقر والمرض والتخلف ، وأيضا يسكنها الحب والألفة والخير والحنين والقيم الإنسانية ولعل تجربة السجن من عام ١٩٥٩ إلى ١٩٦٢ فى الواحات من أخصب التجارب التى ساهمت فى إرتطام عصفور القلب بجدران الصدر وتحطيم الكون الداخلى والخروج إلى الكون الخارجى مغردا بحزن ، بفرح ، بيأس ، بألم ، بأمل ، بقوة ، بضعف ، بتحدى ، بخوف ، فى الفضاء الإبداعى ، وحيث أن تجربة السجن تضيف إلى فؤاد حجازى وثيقة من وثائقه كمناضل سياسى إلا أن الدخول للسجن كان لأنه يوزع منشوراً يؤيد عبد الناصر ، وعبد الناصر لايريد تأييدا من اليساريين .. هل تصدق ؟ هكذا يقول فؤاد حجازى ولكن فى داخل السجن التقى فؤاد حجازى

بكبار الكتاب والنقاد والصحفيين ومنهم : صلاح حافظ ، محمود أمين العالم إبراهيم عبد الحليم ، حسن فؤاد ، الفريد فرج . وقد امتزج فؤاد حجازى مع هؤلاء الكتاب فكريا فكانت سنوات السجن عالما ثقافيا أدبيا أثرى وجدانه وإبداعه وهيأ عصفور القلب للانطلاق ، حتى كتب فؤاد حجازى قصة (الشقة الجديدة)[٣] عام ١٩٦١ . فقد اقترح بعضهم عمل مسابقة فى القصة القصيرة وكانت لجنة المسابقه تضم الاساتذه محمود أمين العالم وصلاح حافظ وغيرهم وكانت هذه القصة هى الفائزة وحصل فؤاد حجازى على علبة (كاكاو) جائزة له .

وهنا فر عصفور القلب من سجن الصدر ومن سجن الواحات يحلق فى الفضاء الإبداعى ينقش فنه على أجنحة هذا الفضاء ويصادق الشجر والناس والصبح والمساء والأطفال ويتهادى فوق الأرض ، يلتحم بنداءات الكائنات والأشياء .

فهل كانت تجربة الحرب (١٩٥٦) ، ومحاولة الحصول

---

٣ — يؤكد فؤاد حجازى أن قصة (الشقة الجديدة عام ١٩٦١) هى أول قصة صالحة للنشر فى مجموعة كراكيب . (كتاب أوراق أدبيه) لفؤاد حجازى . سلسلة ادب الجماهير عام ١٩٨٠ .

على عمل ، وسجن الواحات ، ثلاث عوامل فجرت العشق فى عصفور القلب ، فانفصل فؤاد حجازى عن عالمه الداخلى ليتوحد بالعالم الخارجى ، وينطلق من الذاتى إلى الموضوعى ومن الخاص إلى العام ؟ . فإذا كانت قضية الوطن هى التصدى للغزاة القادمين عام ١٩٥٦ فقد أدرك فؤاد حجازى أن هناك غزاة آخرين داخل الوطن يمتصون دماء الشعب الصلب العنيد ويهدرون حقوقه الاجتماعية والإنسانية والسياسية . ومن هنا برزت قضية فؤاد حجازى الكبرى وهى : الإنسان العادى ، هذا الإنسان الكادح الذى يحاصره القهر والفقر والقمع والمرض والتخلف . وهو عليه أن يقاوم كل هذه المآسى وحده ودون أن يكف عن السخرية والتهكم والضحك . ولكنه يقاوم رغم كل مايعترضه من محن وأزمات . إنه الإنسان الذى أطلق عصفور القلب من داره إنه الإنسان الذى يصنع التاريخ ويعيد بناء العالم .

هذا الإنسان بشخصيته وملامحها الشعبية استحوذ على بؤرة اهتمام فؤاد حجازى منذ بداية فترة الستينات . ولذلك حين أصدر فؤاد مجموعة (كراكيب) ، جاءت حافلة بشخوص البيئة الشعبية ، شخوص حية نابضة ، نعرفها جيدا ولكن الكاتب دنا منها ، لمس أعماقها ، كشف عالمها الحقيقى ، **فكان الواقع فى هذه المجموعة انقلابا على**

الواقع الخارجى[٤]، فإذا كانت الشخوص أقرب إلى الظلال فى الحياة ، فقد نقشها الكاتب بريشة فنان وجعلها (ناطقة) و (صادقة) وتكاد تتفوق وتنتصر على واقعها . وفى خلال هذه العملية الفنية يدنو عصفور القلب حثيثا من قلوب البسطاء يغامر بالخوض فى أحزانهم ومشاكلهم وأفراحهم ومآسيهم ويعايش وجدانهم الاجتماعى وإنفعالاتهم إزاء المواقف الإنسانية والوطنية والقوميه ، ليظل عصفور القلب يمارس الكتابة على أجنحة الفضاء الإبداعى .



---

٤ ــ يقول فؤاد حجازى : اصدرت كتابى (كراكيب) فى وسط موجة الانقلاب على الواقعية واعتبرنى البعض مجنونا . (كتاب المحرض) دراسة عن فؤاد حجازى لمحمود حنفى كساب . ادب الجماهير .

٢ ـ كراكيب الدلالة والواقع

إن مجموعة (كراكيب)(٥) القصصية تحتوى على اثنتين وعشرين قصة قصيرة ، و (كراكيب) هى القصة السابعة فى المجموعة ، وقد نتساءل : ولماذا اختار الكاتب القصة السابعة عنواناً للمجموعه القصصيه ؟ ورغم أن هناك أسماءاً أخرى تصلح للعنوان جذابه للقراء كما يفعل معظم الكتاب حين يختارون عنوانا مؤثرا ومثيرا للمتلقى ، فهل هناك دلالة ما فى اختيار هذا الاسم (كراكيب) ؟

إن فؤاد حجازى ــ بلا شك ــ فنان قد تشبع بالبيئة الشعبية التى يعيش فيها واستطاع أن يسبر أغوار هذه الشخصيات التى تمارس حياتها فى تلقائية وصدق ، فتحول الواقع بصوره اليومية وهمومه الحياتية ومواقفه وأحداثه إلى عالم قائم بذاته فى رؤيته الفنية . فإذا بهذه الشخوص تولد بأبعادها الإنسانية وتبعث من جديد فى لاوعى فؤاد حجازى سواء شاء أم أبى ، ولا تقترب منه صور البيئة فقط ولكن تعانقه فيذوب

---

٥ ــ مجموعة كراكيب التى نحن بصددها هى الصادره عام ١٩٨٣ . الطبعة الثانية وقد تضمنت مقدمه الكاتب للطبعة الثانية بتاريخ ٦ / ٧ / ١٩٨٢ ، فالطبعة الأولى لم تتوافر لنا .

وتذوب فى أعماقه ، يشاهد ، يتأمل ، يتابع ، يراقب ، يحلم بهذا المزيج الرائع لهؤلاء الخارجين فى الصباح — رغم التحديات — يبتسمون ويقاومون محنة وجودهم .

إن هذه البيئة امتدت من داخل بيته وحياته الخاصة فهو (**ابن طباخ فقير ونشأت في أسرة لي سبعة أخوه وأخوات ونشأت فى حى شعبى**)[٦]... ثم يفسر ارتباطه جذريا بهذه البيئه فيقول (**تأثرت بجو التآخى الشعبى هذا وأحببت شخصياته الطيبة فى جواهرها ولم يؤثر فى مابدا من شراسة فى تعاملات بعضهم بعضا أو جنوحهم . وأدركت الظروف التى دفعتهم إلى ذلك وكان من السهل أن ألمح جواهر شخصياتهم الطيبة خلف الشراسة التى تظهرها ظروفهم القاسية**)[٧] ولذلك حين اختار فؤاد حجازى (كراكيب) عنوانا لهذه المجموعة كان يهدف إلى التالى :

أولا : ربط المتلقى منذ الوهلة الأولى بالبيئة الشعبية ولا سيما (المصرية) ، حيث أن لفظة (كراكيب) من اللهجة العامية المصريه الشائعه ، فالمدلول اللفظى أو (اللغوى) ينحو

---

٦ — انظر حوار فؤاد حجازى بجريدة الرأى العام الكويتية .

٧ — انظر حوار فؤاد حجازى مع الصحفية « فيفى عبد الرحمن » . جريدة الانباء ...

بالمتلقى نحو الواقع الذى سوف ينفذ خلاله ويعايش أبطال : القصص وهو واقع البيئة الشعبية بكل ماتشمله هذه البيئة من رؤى وأفكار وقضايا .

ثانيا : إن لفظة (كراكيب) تعنى « تلك الأشياء التى لا ضرورة لها فى حياتنا أو لا أهمية لها فى بيئتنا الشعبية » ، إنها مجرد بقايا أشياء قديمه أى (كراكيب) يجب أن تهمل وتلقى بعيد ، ولكن فؤاد حجازى جاء فى مجموعته هذه ليولى هذه (الكراكيب) أهمية ما . . يبعث فيها قيمة ما ، إذ يرد لها كيانها المجرد المعنوى لتصبح تجسيدا حيا فى البيئة الشعبية على قدرة الإنسان العادى للتعبير عن قيمة إنسانية ، أى أن كل مايشكل اهتماما فى حياة هذا الإنسان ، لابد وأن يتأتى ذلك وينبع عن قيمة ما فى أعماقه . ومن هنا تكون (كراكيب) فى تفسيرها اللغوى وارتباطها بالبيئة الشعبية ذات مغزى اجتماعى وإنسانى فى آن واحد إذ أن الكراكيب تعبر عن قيمة ما فى حياتنا .

ثالثا : إذا كانت الكراكيب فى حياتنا هى الأشياء التى بلا فائدة ويجب التخلص منها فورا ، فإن هذه الكراكيب فى عالم فؤاد حجازى هى أشياء ثمينة حين تقع فى دائرة اهتمام الإنسان العادى فى البيئة الشعبية ، فالقصة السابعة فى المجموعة التى تحمل عنوانا لهذا الاسم (كراكيب) توحى لك أن المرأة

المصرية ـــ بطلة القصة ـــ يمكنها أن تخلق شيئا من لاشيء ، تخلق من العدم حياة ، وهذا مايثير فؤاد حجازى فى الشخصية الشعبية القادرة على الخلق والابتكار والإبداع رغم الفقر والظروف المعيشية القاسية .
ولنتفحص هذه الفقره من القصة ذاتها ، لنستدل على ذلك (وما إن تخرج أمى حتى يسارع أبى للتنقيب فى البيت ، فيخرج زجاجات فارغة كثيرة وعلب قديمة مختلفة الأحجام ، علا الصدأ بعضها ، وأحذية وشباشب لا لزوم لها ، وملابس مهلهلة كثيرة ويجمع كل ذلك ويأمرنى أن أخرج وأخفيه فى آخر الدنيا . وتعود أمى وسرعان ما تكتشف فعلتنا فتوبخنى وتسمعنى دروسا فى قيمة هذه الأشياء ....) .

فتبدو الشخصية الشعبية موحية بالخلق والتجديد ومحاولة تجميل الواقع المحدود الذى تحياه . وإن أدى ذلك إلى استخدام كافة الوسائل لمقاومة القبح والجهامة ، وإن كانت هذه الوسائل يطلق عليها : (كراكيب) .

٣ - شخصيات كراكيب ...
بين الواقع .. والحلم

« **الانسان باق مابقى الزمان فكيف لاتثير الشخصية شغفى** »[٨]... « **فى الستينيات عندما كتبت أقاصيص (كراكيب) كان الاهتمام بالشخصية** »[٩]... فهل من الممكن أن نستدل من هذه العبارات للكاتب ولعه بالبناء الفنى للشخوص ؟ ، وسر تأثره بحركة الواقع كإطار اجتماعى أو سياسى تتفاعل معه الشخصية ؟ هذه الشخوص المسافره دوما من عالمها الخارجى لتسكن وتسبح فى تهويمات إبداعيه ينسج منها الكاتب رؤيته الشعبية عن الانسان العادى والبيئة الشعبية التى يحيا فى حدودها . فتبدو مجموعة أقاصيص (كراكيب) رواية بطلها الإنسان العادى ؛ فثمة خطا فنيا يوحد بين هذى الشخوص ويربطها معا برباط وثيق ، فنجد علاقة مابين (عم ابراهيم) و (عبد النعيم) و (أحمد) الكاتب فى المنطقة التعليمية و (العريف ابراهيم) و (الغريب زناتى) و (أبو المكارم الغلبان) و (الحداد بشير) و (رسمى) و (جاد

---

٨ ـ المصدر السابق .

٩ ـــ انظر مقدمة الطبعة الثانية لمجموعة (كراكيب) .

عبد الوهاب) المشرف الزراعى و (عم بطاط) و (السجين) و (منجد) و (ثناء) السكرتيرة و (الأم) التى تهتم بالكراكيب و (أم حسين وولدها) و (الزوجة سعاد) الغاضبة من زوجها ، وأيضا شخصية (الجدة) . و (بشير) الحداد و (عم عبد اللطيف) المدرس ، و (رسمى) بائع الفاكهة الفقير .

وكل هذى الشخوص تحلم على أرض الواقع وتحاول أن تفر من مصيرها المحتوم ، تحاول الخلاص من قدر ما يتعقبها ، وتبحث عن وسيلة ما لتدافع عن وجودها ، وتعيد خلق هذا الوجود فى صورة أكثر اشراقا وضياءاً فالواقع ينقسم — فى مواجهة — الشخوص الى منحنى داخلى وآخر خارجى ، فمن الداخل ينبع كيان هذه الشخوص وتفجر الأحداث مواقفها السياسية والاجتماعية والإنسانية ومن الخارج تتجلى صور البيئة الشعبية بكل مايثور فيها من صراعات وقضايا ، وهنا المنحنى الخارجى والداخلى يشكلان زمنا يمارس فعل التصدى لظروف الحياة ، ومقاومة شظف العيش والآلام والآحزان من أجل غد أفضل تصنعه هذى الشخوص وتظل تحلم بتجاوز هذا الواقع سواء بالانصهار فى أعماقه أو فى منازعاته ومشاكلته .

فهى شخوص البيئة الشعبية الأبطال الفقراء ، نجوم البنية (التحتية) التى ترفض أن تموت بالمجان ، وتحفر من القاع دربا يقودها الى التحرر من سيطرة الطبقات المستغلة ، ومن بشع البنية (الفوقية) . ويصبح هذا الانسان العادى سواء (عم ابراهيم) أو (ثناء) أو (أم حسين) كيانا نابضا بالحركة يقف ؛ ضد لحظات العدم والجذب ويتطلع إلى المستقبل هاربا من حصار التخلف و الجهل والفقر والمرض . انها الشخصية المصرية الشعبية فهى «**شأنها شأن أى شخصية قومية أخرى قد اصبحت مزاجا** تركيبيا **جدليا وتاريخيا ، لا تستطيع قوة أن تسحق عناصر منها او تسلخ بعضها**[١٠]» فهى شخصية تعودت أو مارست الصدام مع واقع بيئتها منذ آلاف الحقب ومن خلال هذا الصدام فى كافة مستوياته المتعددة ، تعيش هذه الشخصية جوهرها الذاتى — الحقيقى — وتتفاعل مع الحدث فى شموليته ، فلا عجب أن الكاتب قد تأثر « **بالانسان العادى وبقيمه التى لم تختف رغم القهر ورغم البحث عن الغذاء فكنت ترى الشهامة والتعاطف ونجدة المظلوم والإحساس بهموم الوطن الكبرى من استعمار وغيره ...** » [١١]

---

١٠ انظر كتاب (الادب الشعبى) رشدى صالح ص ٥٠ .

١١ — انظر حوار فؤاد حجازى مع كاتب الدراسة بجريدة الرأى العام .

إنها شخصيات تقاوم ، (عم ابراهيم) يقاوم الموات واللاحياة فى الملجأ ويرفض العمل فيه رغم اغراءات المال . (عبد النعيم) بالحب ينتصر على واقعه المؤلم ، وحلمه الزائف أن يصبح رجل أعمال .

(احمد) يقاوم جشع التجار واستغلالهم لحاجته إلى بيع استمارة شراء الأقمشة . و (العريف ابراهيم) يتصدى لواقعه المحبط وهزيمته الدائمة فى الحب وفشله الذريع ، حتى تسانده (هنية) وترفض المهندس من أجله . (حسين) يحلم بالشقة الجديدة ويتصدى لأسر القديم ولا يرضخ لرغبه أمه فى البقاء بالشقة القديمة ، فهى لحظات الصراع بين القديم والجديد ينتصر فيها الأخير ، (الأم) فى كراكيب تقاوم الفناء ، فهى تخلق من الأشياء القديمة شيئا جديدا ، وتبعث فيها الروح فتصبح ذات أهمية مرة أخرى ، وتؤمن أننا لايمكن أن نتخلص من الأشياء القديمة فى بيئتنا الشعبية دون أن نستغلها أكثر من مرة ، ونفيد منها . و(الغريب زناتى) يقف ضد يوم (اجازته) حين يكتشف أن هذا اليوم كان سببا فى انتشار الظلام على القرية لأنه ترك ماكينة الكهرباء ، فيذوب فى الجموع ويذهب للعمل فى يوم اجازته . و (الحداد) بشير الذى يقاوم ظروف حياته الصعبة ويطالب بتحديد ساعات عمل للعمال . وكذلك (جاد عبد الوهاب) الذى يقاوم الفساد

حوله ولا يسقط مثل الآخرين رغم أنه يعانى من ضيق ذات اليد .

و (ثناء) التى تبحث عن انسانيتها وتظل تعمل كالآله دون فترة راحة ، و (سعاد) الزوجة التى ترفض ان تجرح كرامتها فى بيتها من زوجها وتهجره فهى تقاوم تعسف الرجل واضطهاده . و (عم عبد اللطيف) يقاوم الزمن ، والشيخوخة ، ويحاول أن يعيش حياته بعد التقاعد فى عطاء انسانى . و (السجين) الذى يتعذب من واقعه المرير ويحاول إضاءة بسمة على شفاه ابنته تضىء الظلمات حوله فيحتفظ بقطعة الشيكولاته من أجلها . و (رسمى) الذى يبحث عن صديق عمره وكأنه يبحث عن انتمائه الحقيقى ، فقد كان هذا الصديق هو (حماره) وقد باعه أهله عندما كان فى الجيش .

فكل هذه الشخوص ظلت تجاهد فى استمرارية ، ان يظل الحلم مخضوضرا ، ثريا ، جميلاً برؤى المستقبل وطموحات الإنسان فى التغيير ، والتقدم ، وبذلك نتبين قدرة الكاتب الفنان على استيعاب قضايا الواقع وطرح اضاءات تقود المجتمع الى آفاق جديدة ، وينفض عن كاهله كل مايعترض طريق نضاله وكفاحه فى عالم تسوده الحرية والديمقراطية والحياة الإنسانية .

٤ ـ عالم الشخصية والبيئة الشعبية

فى « كراكيب »

فؤاد حجازى فنان على قدر من الوعى العميق بالبيئة الشعبية وشخصياتها ، فهو لايقدم مجرد نماذج انسانية نتعاطف معها ونعايشها عن قرب وثيق ولكنها شخوص موحية باتجاهات فكرية ، وقد يدهشك قدرته البارعة فى النفاذ الى أعماق هذه الشخوص وكشفها واكتشافها (**بل نراه يغوص فى اعمق اعماق بيئته ويتعمق فى تصوير الواقع على الطبيعة بما يتيح لهذا الواقع أن يعطى أبعاده الفكرية النابعة منه**)[١٢]، ومع كل شخصية هناك رسالة مانتلقاها من الكاتب ، رسالة سرية تكمن فى كلمة نثرها البطل أو شخصية ثانوية لفظت عبارة ، أو من خلال الصور الفنية التى تتمركز حول الواقع وتعيد تشكيله ، وتهدف الى كسر جموده وبعث الحيوية والحياة فى أجزائه ، فإذا بهؤلاء الشخوص هم مصر بالشوارع ، الحارات ، الأزقة ، القرى ، النجوع ، الكفور ، إنهم هذا

---

١٢ ـــ انظر مقال خيرى شلبى فى مجلة سنابل ١٥ / مارس / ١٩٨٧ .

المزيج الكثيف فى تلك البيئات المصرية الشعبية ، فهم تجاوزوا الرموز والدلالات واكتسبوا أصالتهم الفنية من تلك المواقف الإنسانية التى تجمعهم فى لحظة ، لمواجهة الازمات والخطوب رغم مايعترى علاقاتهم من تناقضات قد يشوبها بعض الأسى والحزن ، ولأن فؤاد حجازى مناضل سياسى فقد امتزجت فى رؤيته الفنية ثورة المناضل ، فهو يدرك مغزى الهدف الذى يسعى إليه ، ويعرف لمن يوجه رسالته الفنية ، ومن يحاول أن يزرع فى أعماقه لغة الثورة ، **ومن خلال هذه الرسالة السرية فى قصصه القصيرة** [١٣]، نعيش مرتين فى قراءة واحدة لكل قصة ، فنحن نتلقى الفن ونتعاطى السياسة ، وإذا كانت الخلفية السياسية فى (كراكيب) تطغى عليها الشخصية بملامحها وكيانها الإنسانى ، (**فالشخصية العادية فى (كراكيب) تدل فى وضعها او فى معاناتها على خلفيتها الاجتماعية ، فمواقفها التى تعيشها لاتعيشها فى فراغ ، والخلفية الاجتماعية مرتبطة بشكل أو بآخر بالعامل**

---

١٣ ــ يقول فؤاد حجازى : اريد التركيز على كل ماهو انسانى ، على كل مايثرى اللقاء ويقود الى التواصل الحميم بين الناس . (كتاب اوراق ادبية) .

السياسى ، حتى وان لم يصرح الكاتب بذلك ...)[14] . فحين تقرأ قصة (عم ابراهيم) الذى يرفض العمل فى الملجأ براتب أكثر من عمله فى المدرسة طباخا تشعر بهذا الفيض الإنسانى الذى يجعل (عم ابراهيم) يعشق المدرسة التى توحى بكل مافيها من ضوضاء وأناس وتلاميذ بأنها الحياة التى يستمد منها ذاته ، أو انها الانتماء الحقيقى و (لذلك سرعان ماارتد وهو يلعن الجنيهات الزائدة التى كان سيتقضاها اذا ترك المدرسة التى يعمل بها والتحق بهذا الملجأ ...) ورغم أنه قد يكون هناك تشابها واقعيا بين الملجأ والمدرسة ، إلا أن (عم ابراهيم) لكونه قد ارتبط ارتباطا انسانيا بالمكان فهو يخشى أن يهجره ، ولعل سمة عشق المكان الذى هو جزء من (الأرض) التى يعيش عليها شخص ما ، تعد من الأمور التى يشق على النفس أن يهجرها الانسان ، او يواجه بيئة أخرى تفصله عن ذاته ، ويشعر فيها بالاغتراب . وقد أحببنا (عم ابراهيم) ولك أن تلاحظ الاسم ودلالاته الشعبية ويقول عنه الكاتب (**أما أبى فهو بطل قصة عم ابراهيم**[15])

---

١٤ ــ انظر حوار فؤاد حجازى مع كاتب الدراسة بجريدة الرأى العام .

١٥ ــ انظر كتاب (أوراق أدبية) لفؤاد حجازى .

فالشخوص فى حياة الكاتب ، وماعليه إلا أن يعيد نسجها فنيا لتشع منها الأبعاد والملامح الكامنة فى أعماقها ، ونستشف الأصالة ، والقيم التى لاتزول رغم اشكاليات الحياة . واذا كان (عم ابراهيم) فيضا من العطاء والارتباط الحميم بالمكان ، فان (أم حسين) فى (الشقة الجديدة) هى الأخرى ترفض أن تهجر بيئتها الشعبية التى عاشت فيه عمرها مع زوجها (أبو حسين) ، وتظل تراودها الذكريات منذ ليلة زواجها وتمعن النظر فى الملابس والأشياء والأيام التى مرت عليهما ، حتى زوجت ابنتها ، وها هو ولدها (حسين) سيتزوج ويصحبها إلى شقة جديدة ، فهل يمكنها أن ترحل دون أن يمزقها الحنين والشجن ؟ (أشعلت الذكريات قلبها ودفعت الدم حاراً فى عروقها واخذت تستهين بكلمات حسين لها هذا الصباح ...) ولكن يبدو أن حسين لايمتثل لرغبة امه — رغم تعاطفنا معها وايماننا بموقفها واتجاهها النفسى — فاذا كانت الشقة الجديدة تمثل حياة اخرى وعالم جديد ، فهو الصراع بين (القديم) بكل مايوحى بالتخلف و (الجديد) بكل مايرمز للتقدم ولكن هذا الصراع لانلمحه أو نتبينه بين (أم حسين) و (حسين) وانما جاء الصراع خفيا ، فى عدم رضوخ (حسين) لرغبة امه . ويقول الكاتب صلاح حافظ عن هذه القصة عندما فاز بها الكاتب فى مسابقة بسجن الواحات عام ١٩٦١ « **أنها**

عالجت بفنية مسألة انتصار الجديد على القديم[16] » ، والقصة قطعة فنية مؤثرة تمس شغاف القلب لأنها تتمتع (بالصدق الفنى) والرؤية الموضوعية ، فكم تمزقنا جميعا ونحن نغادر (المكان القديم) الى آخر (جديد) ؟ ويقول الكاتب (**عندما تركت السجن وقرأت هذه القصة لأمى بكت بتأثر ولم تعلق بكلمة[17]**) ولنا أن نتساءل عن سر بكاء الأم لندرك كيف وُفق الكاتب فى تحويل الواقع الى عالم متفرد قائم بذاته ، يوظف الفن من اجل الناس والحياة والمجتمع ، (**فهناك اذن رسالة يحملها المفكر والأديب ويلتزم بها ، كلاهما من اجل الحياة والناس ومستقبل البشرية وهذه الرسالة هى التقدم نحو الأمام والغد المأمول ولن تتحقق هذه الرسالة إلا إذا قام الادب والفكر والفن بالدور القيادى الرائد فى الحياة[18]** ولعل هذا ماجعل قصص فؤاد حجازى القصيرة تستولى على عقولنا ونعايشها وتعايشنا . أما قصة (المفتشون) فهى عن البطل الذى يواجهه الفساد ولا يسقط .

---

١٦ ــ المصدر السابق .

١٧ ــ المصدر السابق .

١٨ ــ انظر (اتجاهات القصة المصرية القصيرة) د . سيد حامد النساج . دار المعارف ١٩٧٤ ص ٥٨ .

انه (جاد عبد الوهاب) المشرف الزراعى فى القرية ، فمشكلته تكمن فى أنه خطب ابنة عمه وتأجل زواجه حتى نهاية موسم (جمع الدودة) لينال مكافأته ويؤثث غرفتين ، ولكن عمه يقف ضده لأنه (بتاع دوده) . لايملك مالاً أو إمكانيات مادية ، فهو حاصل على دبلوم زراعة وعمه يطلق عليه (دبلوم دوده) . ان (جاد عبد الوهاب) يعرف أن الجميع يتقاضون رُشاً ويسرقون ويتلاعبون فى كل شىء ليحققوا أرباحا أخرى ، ولكنه لايستطيع أن يخون مثل الآخرين ، فإذا كان من جهة مايقاوم الفساد فهو من جهة أخرى يقاوم (الدودة) فهى التى تجهض أحلامه فى المكافأه التى ستمنحه فرصة الزواج ، (هل تحرمنى هذه الدودة الحقيرة من المكافأة المنتظرة. هل تتسبب فى حرمانى من الزواج ...) انه صراع مع (الدودة) التى تلعب دورا متوازنا مع البطل فى القصة ، فاذا كان الكاتب قد جعل هذه الحشرة تلتهم زهرة القطن ، فهناك أيضا من يلتهمون ويمتصون دماء الآخرين ، انهم هؤلاء المشرفين الزراعيين الذين يسرقون ، إنهم (الدودة) الحقيقية التى يجب أن تُقاوم ويُقضى عليها . وقد أجاد الكاتب تصوير أعماق (جاد عبد الوهاب) ولكنه لم يول عناية مماثلة للشخصية الأخرى فى القصة وهى :

الخولى (مصطفى) المشرف على جمع الدوده فى مزارع القرية ، فهو يعانى من المفتشين الذين لا يعرفون أصول عملهم ويوقعون فى الدفتر أن الحالة على ما يرام ، وينصرفون خائفين على أحذيتهم اللامعة من الأرض المروية ، وجميعهم يسبون مصطفى . ومع ذلك كانت الثلاثة شخوص (مصطفى الخولى — جاد عبد الوهاب — الدودة) صورة ليست منافية للواقع ، ولكن بما يجب أن يكون عليه هذا الواقع حين يتحول النضال ضد الدودة فى المزارع إلى النضال ضد الخونة والمرتشين الذين يمثلون الفساد .

أما (منية أبو العجائب) فهى قرية عجيبة حقا ، فحين تنقلب العربة التى يجرها البغل التابع لمجلس بلدى قرية منية أبو العجائب ، نجد (عبد الدايم النعسان) مسئول المجلس يولى اهتمامه للبغل وينسى السائق (أبو المكارم الغلبان) الذى وقع تحت العربة ومات . وذلك لأن (البغل) مسئوليته جسيمة ولكن الإنسان لا أحد مسئول عنه . فهل الخوف من المسئولية التى يشغلها مسئول المجلس تدفعه أن يولى اهتماما خاصا للحيوان ويستدعى له أطباء بيطريين ويهمل الانسان (السائق الغلبان) .

ان الكاتب يصرخ ساخرا ضد هذه القرية العجيبة ، وتمتد صرخته لتشمل القرية الكبيرة التى نعيش فيها ، فالانسان يموت بلا ثمن أو قيمة ، والأنظمة تنظر إلى المواطن على أنه (آله)تنتج وتفيد منه ، ويمكنها أن تسحقه إذا تعارض وجوده مع أيديلوجيتها . إن أبو المكارم الغلبان لم يكن يقطن قرية (منية أبو العجايب) ولكنه فى كل مكان حولنا تسحقه الحروب والفواجع والكوارث والمجاعات ، فمن فى هذا الوطن الكبير لم يشعر فى يوم ما أنه (أبو المكارم الغلبان) ؟ فهل تلقينا رساله الكاتب بتحدى الموت المجان ، الموت بلا ثمن ؟

أما عن الغريب زناتى) فى قصة (عامل الإنارة) التى كتبها فؤاد حجازى حين كان **يعمل فى الوحدة المجمعة بـ (طناح)**[19] ، وقد قال العاملون للكاتب أنهم أعجبوا بالقصة ، وشكروه لأنه أغفل الأسماء الحقيقية لأن (عامل الإنارة) مستوحاة من شخصية بينهم . فالزناتى غريب حقا فى هذه القرية يعمل على (ماكينة الإنارة) دون أن ينال يوماً راحة ،

---

١٩ ــــ انظر كتاب اوراق ادبية .

حتى أيام الجُمع يعملها دون أجر ، وقد سعى الى المحافظة والمسئولين ولكن (حالة العمل لاتسمح) ، و (الغريب الزناتى) يعانى من المرض والوحدة (انا فى حاجة إلى عطلة لأرتاح ، وأنا الراحة تتعبنى ، أقصد عدم العمل يتعبنى ، مرضى يحب الحركة،عندما أعرق أكون سعيدا ، اعطونى اذن ثمن الجمعة وأنا غريب فى هذه القرية ، دائما سواح ، قريتى لم ازورها من مدة واهلى هناك ....) ، حتى جاءه فى يوم ما منشور أن عمال الإنارة سيحصلون على عطلتهم الأسبوعية ، وبقدر ماظل مبتهجا أنه سينام حتى مطلع الشمس إلا أنه حين غرقت القرية فى الظلام ، شعر بحزن شديد وهو يتذكر أهل القرية والسكون الذى سادها ، حين أوى الجميع الى مخادعهم مبكرين فلا مجال للسهر أو مشاهد التلفزيون ، والضحكات والأحاديث الطويلة ، وينهض (الغريب الزناتى) من نومه ويذهب الى ماكينة الإنارة ليعود ضياء الكهرباء الى القرية وتعود البسمة على وجوه الناس .

ان الغريب الزناتى تنتفى غربته حين يذوب فى مشاعر الآخرين ، فهو يضحى بيوم اجازته الأسبوعية رغم مسيس حاجته الى الراحة ، من أجل أهالى القرية ، ولنا أن نتخيل واقع

الأمر فى الصباح اذا ظل الغريب الزناتي فى فراشه هائثا بيومه فكيف كان سيلقاه أهل القرية ؟ أما الآن فقد أصبح هناك شيء ما يجذبهم الى هذا العامل، فيصبح وجوده استمرارا لسعادتهم ووجودهم انتماءا جديدا لحياته فتزول غربته .

وكذلك فى قصة (سوق الحدادين) يرجع الحداد (بشير) إلى صاحب العمل الذى طرده لأنه — بشير — يطالب بتحديد ساعات عمل للعمال ، ويرجع (بشير) عندما يعلم ان صاحب العمل مريض ليقدم اعتذاره ويطمئن على صحته . ويقابل (حسنى) الذى يعمل كاتبا للحسابات ويقول له : (والله ياشيخ مالك على يمين انا مااعرف ان سى الحاج عيان .. والله ماعرفت إن الحاج عيان إلا دلوقت .. ولو كنت أعرف قبل كده ماكنتش سيبت المحل إلا لما يرجع وحتى من غير أجر خالص ..) . ويتعرض فؤاد حجازى فى هذه القصة الى العلاقة بين صاحب العمل بنقوده وجشعه واستغلاله والعامل الكادح بكل مافى قلبه من نقاء وأصالة شعبية ، فهو على استعداد للعمل دون أجر لأن الحاج مريض .. فماذا يعنى ذلك ؟ ألا يعنى ان هذا العامل يرتكز فى اتجاهاته على قيمة أخلاقية ما ؟ ألا يعنى كذلك أن (بشير) تواجهه سلطة صاحب العمل الذى يعتقد أن العمال لا أخلاق لهم ؟ ألا يعنى

كذلك أن (بشير) يبحث عن حقوقه ويطالب بها ، ان فؤاد حجازى هو صوت هؤلاء الذين يسكنون قاع المجتمع ويناضلون من أجل حقوقهم التى تُسلب وتهدر فى ظل هيمنة اصحاب العمل على أرزاقهم ومصائرهم .

أما قصة (سكرتيرة ليست حسناء) فهى عن (ثناء) التى تعمل طوال اليوم دون توقف ، وعندما تتوقف الآلة الكاتبة التى تعمل عليها يطلب منها رئيسها فى العمل أن تعطى الآلة (راحة) وتأخذ آلة أخرى ، ويجب أن تكون رحيمة على الماكينة ، وتظل (ثناء) تعمل على الآلة الثانية ولاتنال قسطا من الراحة مثل الآلة ، اطلاقا . (يابنتى حرام عليكى ، خلى عندك رحمة ارحمى المكنة اللى فى ايدك ، الحديد استجار ...) إن (ثناء) تبحث عن ذاتها الضائعة فى عالم يغتال كيانها الإنسانى ، وتتحول فيه إحساساتها ومشاعرها وذاتها النابضة بدفء الحياة الى (آله) صماء .

وإذا كانت (ثناء) تبحث عن قيمة ما وترفض أن تصبح (آله) ، فإن السيدة (سعاد) فى قصة (غضبانة) ، زوجة الحاج (سيد سلامة) صاحب مقهى الحرية ، قد هجرت زوجها وأولادها ، لأن هذا الزوج قد أساء معاملتها وجرح

كرامتها أمام أولادها ، فتشعر (سعاد) بألم جارح ، وتقرر عدم العودة حتى تصاب بحالة نفسية مرضية ، ولا يمكنها الكلام ، (فجأة أحجمت عن العودة ، ولما لم تستطع أن تفسر سبب رفضها الرجوع الى زوجها ، فقد التزمت الصمت وعندما طلب أهلها أن توضح لهم الأمر لاذت بالصمت أمامهم أيضا ، وشيئا فشيئا أصبح الصمت طابعها ، وقال أهل البيت أن لطفا أصابها ..) واذا تأملنا شخصية المعلم سيد سلامة صاحب المقهى نجده (نموذج) للرجل الذى امتزجت شخصيته بالجهل والتخلف ، فهو يرى أن المرأة ليست أكثر من (خادمة) وهو السيد الكبير الذى يُطاع أمره وسلطانه . ومن خلال هذه النظرة الى المرأة يمارس انتهازيته وسطوته دون أدنى إحساس بالمسئولية ، فهو ينفق ايراد المقهى فى السهرات الماجنة ويعود إلى بيته غير مبال بمشاعر وكرامة زوجته ، ويذيقها الذل والعسف والاضطهاد ، وتبدو العلاقة بين الرجل والمرأة هنا علاقة يسودها الظلم والجهل من قبل الرجل ، والقهر والسلبية من قبل المرأة ، ولكن هل استسلمت (سعاد) لهذا القهر ؟

وفى قصة (كراكيب) تبدو شخصية (الأم) فى البيئة الشعبية القادرة على تحويل (الكراكيب) وهى الأشياء التى

تزدحم بها بيئتنا ولا فائدة منها ، إلى أشياء نافعة ، ورغم سخرية (الأب) فالأم تقاوم الزمن فهذا القديم الذى انتهى شأنه يمكنها أن تعيد خلقه وتشكيله مرة أخرى ، ففى حالات الفقر المدقع والظروف الاجتماعية السيئة تستطيع الشخصية الشعبية أن تبعث الحياة مرة أخرى فى الجماد والأشياء القديمة . فهذه الأم قادرة على الخلاص والفرار (بكراكيبها) من عالم الفناء.. فهل حقا تتحدى الزمن ؟

وفى قصة (البقاء للأصلع) صورة أخرى للمرأة المقهورة التى تزوجت (عم بطاط) وهى لاتشعر نحوه بعاطفة ما ، بل تنفر منه ، وتشعر بالتقزز والاشمئزاز من هيئته الكريهة ورائحته ، وهو لايجيد غير ترديد العبارات البذيئة ، وجرح كرامتها ، رغم أنها تقوم على خدمة ابنه من امرأة أخرى وأمه ، وقد قبلت الزواج به هربا من زوج أمها الذى يرغب فى العبث بجسدها . فإذا كانت (سعاد) قد تمكنت من الفرار من القهر ، فى قصة (غضبانة) ، فإن هذه المرأة ظلت تعانى حتى سقطت صريعة الإجهاد .

(ولم يكد يمر « الأربعين » حتى كان عم بطاط يفكر فى احضار امرأة جديدة .) فيؤكد فؤاد حجازى هنا على

قضية المرأة فى التحرر من عبودية الرجل ، ولن يتحقق هذا التحرر إلا عن طريق العلم والمعرفة والتغلب على الجهل والعادات والتقاليد الموروثة والتى تمثل عائقا نحو التقدم والحرية .

وفى قصة (زوبعة على الطبلية) صورة كاريكاتورية للزوج العامل أمام الماكينة . يعود للمنزل ليجد زوجته قد أعدت له (محشى بالأرز) وليس لحما ، ويشكو من هذه الزوجة التى تجهل طريقة إعداد الطعام الشهى باللحم ورغم أن الزوجة تفعل ذلك نوعا من الادخار لضيق حياتهم المادية وظروف معيشتهم القاسية . ولكن القصة أقرب إلى الموقف الكوميدى وتعكس قدرة فؤاد حجازى على تصوير هذه المواقف الكوميدية النابعة من فطرة الإنسان الشعبى . فأنت لايمكنك ان تتوقف عن الضحك طوال قراءتك لهذه القصة ، وهذا ليس بجديد على الكاتب فهو يجيد هذا الفن ، فى تحويل جزئيات الحياة الى صورة شاملة نستشف منها أعماق الشخوص دون زيف او افتعال .

وقصة (ماما ستو) هى الأخرى تعالج شخصية (الجدة) داخل الأسرة المصرية ، فهذه (الجدة) تشكو من

حفيدها وتتبرم منه ، وتتمنى أن يأتى والده لترتاح من متاعبه ، ولكن حين يعود والده من عمله بالصعيد ويأخذ حفيدها وزوجته (ابنتها) ، تشعر (الجدة) بالكآبة والوحشة ، وتذهب لإحضار الطفل ليظل معها فى بيتها ، فهو يمثل الحياة والأمل لها فى وحدتها . ويصور الكاتب مدى العلاقة بين (الجدة) و (الحفيد) ، حيث أصبح (للجدة) دور بارز فى المجتمع المصرى ، فالمرأة تسعى الى عملها وتعهد بأولادها الى (امها) التى تعود مرة أخرى تمارس دور الأمومة الذى افتقدته منذ زمن ، فشخصية (الجدة) فى البيئات الشعبية تضطلع بمهام اجتماعية خطيرة فى الهيمنة على الحفيد بل على والديه أيضا إلى حد ما ، وفى التأثير فى اتجاهات النمو لدى الحفيد ، حتى يصبح عالما تحيا فى داخله ويولد معها الأمل والترقب والفرح وهى تشاهد هذا الحفيد فى عينيها ينمو ، فكأن الزمن لم يهزم سنوات العمر ، وهل هناك امرأة فى مجتمعنا المصرى لاتعهد بمسئولية أولادها إلى (الجدة) . وقصة (بياع بالعمولة) عن معاناة (عبد النعيم) الذى يبذل كل حيله لينجح فى صفقاته التجارية ، وهذه الصفقات هى بيع زجاجات الروائح العطرية وقطع الصابون وغير ذلك من تلك الأشياء التى ينال عن بيعها ربحا بسيطا ، ولكنه يمارس هذا العمل

كارها فهو عليه ان يتحمل الوجوه التى لاتطاق لأنه يحلم ان يصبح رجل أعمال كبير . ومن ناحية أخرى تحاول خطيبته (سميرة) أن تقنعه بالعمل فى أحد المصانع الجديدة والتخلى عن هذه الوظيفة ،وفى النهاية يتخلى عن هذا الحلم الزائف ويرفض اغراءات الواقع وينحاز إلى الحب ، إلى (سميرة) . (هل يضحى بحريته ويصغى لكلام سميرة ويؤهل نفسه لمدة شهرين أو ثلاثة يصبح بعدها عاملا فى أحد المصانع الجديدة ؟ صعبت عليه حريته ، إنه يستيقظ فى اى وقت يشاء ويعمل وقتما يريد ولكن هل يعلن تراجعه أمام سميرة ؟ ...) ان عبد النعيم يؤمن فى النهاية أن عمله كبائع بالعمولة أى (بيزنزمان) لايجعله يشارك فى بناء الوطن ، والحلم الذى يراوده أن يصبح من رجال الاعمال انما حلم ينفصل عن الواقع ليخلق من عبد النعيم أحد الاثرياء ، أى أن عبد النعيم اذا كانت تراوده فكرة الانسلاخ من طبقته الشعبية والدخول فى عالم المال والتجارة ، ويغرق فى ترف البرجوازية ، فإن هذه الفكرة لم تكن نابعة من أعماقه حقا ، أو تعبيرا صادقا عن هذا الحلم ، فهو يؤمن ايمانا راسخا بأن (المصنع) هو الحلم الحقيقى ؟ فالمصنع بناء ، انجاز ، انتاج ، ابداع ، ابتكار ، خلق ، حياة داخل الحياة ، وحلم من أعماق الحلم ،فهو ينتابه الأسى والأسف العميق

(وأسف لأفكاره التى راودته بتركها عندما كان يحلم أن يصبح من أصحاب السطوة ...) ومن خلال هذه المشاركة العملية — الواقعية — من داخل المصنع تبدو شخصية عبد النعيم على أصالتها ، وتنفض عنها غبار هذى الأحلام الزائفة والبحث عن الثراء السريع بالمتاجرة فى سلع استهلاكية .
ورغم أن هذه القصة كتبها فؤاد حجازى فى الستينات الا انها تكتسب رؤيتها الفنية من واقع الحدث السياسى فى السبعينات حيث أصبح هناك آلاف من (عبد النعيم) قد انطلقوا يتعقبون الحلم الزائف فأصبحوا حقا أثرياء من خلال هذه اللعبة ، لعبة (البيزنزمان) الذى يتقاضى من كلا الطرفين ، بل إن الأمر أصبح على مستوى سياسى خطير حيث سقط هؤلاء الذين تاجروا فى الأطعمة الفاسدة وفى الكساء والغذاء ، وإغراق السوق المصرى بالبضائع (المستوردة) طبقا لسياسة (الانفتاح) ولعل قصة (نجيب محفوظ) (أهل القمة) حيث أصبح اللص من اثرياء المجتمع وانقلبت المعايير والقيم من اهم الاعمال الروائية التى عبرت عن ذلك .

ومن هنا تصبح قصة فؤاد حجازى ، قد حملت معها بشارة الأمل ، فإن الخلاص الحقيقى هو (المصنع) اى الاتجاه الى الابتكار والابداع فى الانتاج المصرى ، ولا سبيل إلى ذلك إلا

بالحب ، فربما كانت (سميرة) هى الرمز لهذا الحب ، فهى التى حثت (عبد النعيم) وأيقظت فى اعماقه هذا الحب ، الحب للمصنع ، للأرض .

ألا يتفق معى الكثير من القراء فى ذلك ؟!

أما عن قصة (صلاة البقال) ، عن الحاج لطفى صاحب العمل الذى يرفض السماح للعمال بالذهاب للصلاة يوم الجمعة — عندما ازدحم المحل بالناس ، ثم فى غفلة منهم يذهب إلى المسجد لآداء الصلاة . إن صاحب العمل ، هذا الرجل الثرى يقف أمام العمال الفقراء حتى فى آداء الفريضة يوم الجمعة . وقد قال عن هذه القصة ، القاص (**محمد المنسى قنديل**) **انها اقرب الى نكته**[20] ، ولكنها مفارقة ابداعية يشير فيها الكاتب الى اى مدى يمكن لصاحب العمل الثرى ان يمارس سطوته على العمال الفقراء ، ولعل الرمز من وراء ذلك يكمن فى مدى تفهمنا هذه الإشارة أو المفارقة ، أى ان أصحاب المال والنفوذ اذا تعارضت مصالحهم الخاصة مع العقيدة والايمان

---

٢٠ — انظر كتاب (المحرض) دراسه محمود حنفى كساب .

فهم قد يحاربون ذلك فى سبيل استمرارية أرباحهم ، والقصة تضيىء شيئا ما فى عيوننا ، فهل انتفضنا ؟

وفى قصة (قرقر) تجسيد للنموذج الإنسانى الذى يؤكد براعة الكاتب فى التصوير والايحاء بما يجول فى نفوس الشخوص من معاناة وأحلام ، وهنا نرى بطل القصة (رسمى) بائع الفاكهة الفقير الذى يتجول بحماره (قرقر) فى الشوارع والأحياء الشعبية، وعندما يلتحق بالجيش لآداء الخدمة العسكرية ويخرج لايجد (قرقر) فقد باعه أهله .. (ولم يخطر ببالى أبدا ان اترك الجيش فلا أجد « قرقر » .

بهدوء عجيب أخبرنى اخى الصغير أن والدته واخوته احتاجوا لمصروفات اثناء غيابى فلم يجدوا غير قرقر فباعوه . ولم يدر بخلدهم أنه كان أهون عندى ان يقطعوا قطعة من جسدى ليبيعها بدلا منه ...) .

فما الذى يجعل العلاقة بين رسمى وقرقر تتسم بالحنين والمعايشة ؟ هل هناك ثمة تماثل بين عالم رسمى البائع الفقير وقرقر الحيوان المسكين الذى لاحول له ولاقوة ؟؟؟ إنك تكاد تتنسم عطر ابداعات (تشيكوف) فى تأكيد وحدانية الإنسان فى عالم يموج بالصراعات والحروب فلا يجد هذا البائع الفقير إلا (قرقر) يؤنس وحدته ويواجه معه ظروف الحياة

القاسية .

وإذا كان (الحمار) يمثل الوجه الآخر لعالم الإنسان الفقير الضائع فإن الطيور ولاسيما (الحمام) فى قصة (العجوز والحمام) تمثل معادلا موضوعيا لعالم عم عبد اللطيف المدرس المتقاعد ، الذى يعيش مع زوجته (أم سعد) وقد علم ابنه وثقفه ، وتخرج من الجامعة والتحق بالقوات المسلحة ويحارب العدو الآن على الجبهة . ويعيش عم عبد اللطيف مع (الحمام) معظم لحظات حياته يناجيه ويقص عليه ذكرياته . فقد كان عم عبد اللطيف مزيجا من المثقف صاحب المبادىء والقيم الانسانية ، المدافع عن انتمائه الفكرى مهما تكبد من مشقة وعذاب . فقد رفض فى يوم ما من أيام حياته ان يلقى خطبة مديح لأحد وزراء السراى فى العهد البائد وكانت نتيجة ذلك (شتتونى فى أعماق الريف رغم أقدميتى وحصولى على امتياز فى تقديرات المفتشين ولم تعد العلاوات تأتى إلا نادرا ...) ويظل عم عبد اللطيف يناجى الحمام ويستفسره عن انقطاع رسائل ابنه سعد وعن الحرب ، وزوجته أم سعد التى تعتقد أنه ينفق المال على الكتب والجرائد التى لافائدة منها . ورغم ذلك فهو مازال يستقبل تلاميذه ، ويناقشونه فى السياسة ويستعيرون منه الكتب ، وكذلك أقاربه

من الأقاليم يأتون إليه ، فيذهب معهم لإنجاز معاملاتهم فى الدواوين الحكومية ، ويتحمل نفقات ذلك كله ، فما معنى ذلك ؟؟ ألا تفيض هذه الشخصية بالعطاء الإنسانى رغم ماتواجهه من حياة ساكنة تجرى على نسق واحد ؟؟ ألا ترى فى هذا الرجل حياة أخرى حافلة بالحب الشامل لكل شىء ؟؟ ان الشخصية الشعبية قادرة على تشكيل وجه الحياة والذوبان فى أعماقها والتفاعل معها ولاسيما إذا كانت هذه الشخصية قد أقامت بنيانا مستقلا من العلم والثقافة والوعى ، تحارب به آثام الواقع وفساده . وفى قصة (المعقد) نجد موظف الخزينة الذى يفقد انتماءه الذاتى واحساسه بكيانه حين يترك عمل الخزينة ويذهب (كاتب ارشيف) فيشعر أنه فى الأرشيف بلا قيمة ، فيحاول الرجوع إلى عمله بالخزينة مرة أخرى رغم ما عاناه من تفحص الأوراق والتأكد أنها مستوفاة كافة الاجراءات ، ولكنه خلال هذا الارهاق والمعاناة يستمد ذاته ، فهو يرفض (الأرشيف) ويقول : (الآن من يعيرك اهتماما ، كاتب أرشيف . ماذا يعنى ، يستطيع أى ساعى أن يقوم بعملك) وتلك هى القضية ، إنه يبحث عن ذاته الحقيقية خلال عمله ، ومدى حاجة الآخرين له .

وفى قصة (باكو شيكولاته) السجين الفقير الذى يبذل

كل مافى وسعه ليحتفظ بقطعة الشيكولاته ليعطيها لابنته فى يوم جلسة المحكمة ، انه يريد أن يتحدى واقع السجن والأسى والحزن ويضيىء ابتسامة أمل على وجه ابنته ، ولكن ترى هل استطاع ؟؟؟ وفى قصة (أفيونجى بهوات) عن عامل المصعد (منجد) الذى يتقيد بالاوامر والتعليمات فى عدم ركوب المصعد إلا الشخصيات الهامة وينهى عمل المصعد فى العاشرة صباحا . فالقصة أيضا بها لمحة للعلاقة بين العامل وخصوصية عمله ، فمن خلال هذا العمل تبرز شخصيته فى الهيمنة على الموقف والإحساس بذاته وكيانه كإنسان .

وفى قصة (ايجارة مع رجل ميت) عن العم الذى يحاول الاستيلاء على حقوق ابن أخيه ، وقد استخدم الكاتب (الحوار المسرحى) شكلا فنيا ليقدم من خلاله الشخوص وهم شخصيتان : العم وابن أخيه ، ومن خلال هذا الحوار المسرحى نكتشف ملامح كل شخصية ودورها ، ولعل هذا الشكل الفنى ليس غريبا على الكاتب فهو قد قدم للمسرح العديد من المسرحيات وأيضا قام بمسرحة القصة القصيرة .

وفى قصة (غراميات عريف) عن ابراهيم الجندى فى الجيش وأحلامه الفاشلة مع كل فتاة يقع فى حبها وينوى الزواج منها وحين يحب (هنية) تفاجئه أن هناك (مهندس)

يريد الزواج منها ، ويشعر إبراهيم بالحزن والألم لأن حبه سوف يضيع منه ولكن لاتتخلى عنه (هنية) وتعاهده أن ترفض هذا القادم الجديد وتظل له ومن اجله ، ولعل الكاتب اراد أن يبرز نوعا من العلاقات النقية بين ابراهيم وهنية ، وهذه العلاقة التى يدفعها الحب والأمل والحلم تمكنهم من اجتياز صعاب الحياة والظروف القاسية ، أى أن الحب الصادق والعلاقات الطاهرة تتصدى للريح وتهزم الفشل واليأس .

وفى قصة (عايز يخدمه) عن (أحمد) الكاتب فى المنطقة التعليمية الذى يبذل مجهودا مضنيا فى الحصول على استمارة شراء أقمشة من محلات القطاع العام التابع للدولة ولأن بيته فى مسيس الحاجة للمال فهو يذهب الى (سيد افندى) تاجر لوازم العمارات ليبيع له استمارة الأقمشة ولكن يأخذها الأخير بفوائد لصالحه ، فيرفض (أحمد) ويذهب إلى سوق التجار . والقصة تلقى الضوء على شخصية التاجر الجشع ومدى استغلاله لموقف (أحمد) الموظف البسيط الذى يحاول أن يقاوم أزمته النابعة من حياته العائلية . ورغم أنه يظل صريع هذه الأزمة إلا ان محاولته تعد خطوة نحو الخلاص من واقع ينوء بالشرور والاستغلال .

وتظل مجموعة (كراكيب) ... صور حافلة بمقاومة

مساوىء الواقع وترى ان حل **مشاكل الفقر والمرض والتخلف هو فى الاشتراكية العلمية ، اشتراكية خلاقة تستفيد بخبرات الشعب المصرى وتاريخه العظيم**) ويبرز الانسان العادى فى البيئة الشعبية صانع الحدث وباعث التاريخ يرقب دورة الحياة فى صراع دائم مع واقعه الاجتماعى والسياسى بوعى حاد قادر على التغيير والثورة ، وهذا مايطمح اليه الكاتب فؤاد حجازى ، فهل ترى وفق فى ذلك ؟



المصادر والمراجع

اعمال الأستاذ فؤاد حجازى :

١ ــ **قصص قصيرة** : سلامات . (ادب الجماهير) ــ نوفمبر ١٩٦٩
كراكيب . الطبعة الثانية سبتمبر ١٩٨٣
سجناء لكل العصور . (ادب الجماهير) ١٩٧٧
الزمن المستباح الطبعة الثانية ١٩٨٢
النيل ينبع من المقطم . مواهب ١٩٨٥

٢ ــ **الرواية** : شارع الخلا الطبعة الثانية ١٩٧٩
نافذة على بحر طناح . الطبعة الثانية (الثقافة الجديدة) ١٩٧٩
المحاصرون (ادب الجماهير) ١٩٧٢

رجال وجبال ورصاص . (ادب الجماهير) ١٩٧٣
الاسرى يقيمون المتاريس الطبعة الثالثة ١٩٨٥
العمره (ادب الجماهير) ١٩٧٧ .
القرفصاء (أدب الجماهير) ١٩٧٨
متهمون تحت الطلب (ادب الجماهير) ١٩٨٥

المسرح : الناس اللى ما معهاش الطبعة الثانية ١٩٨٤
حاملات البلاليص : (ادب الجماهير) . ١٩٨٦

٢ ــ اثر التراث الشعبى فى الادب المسرحى النثرى فى مصر . د . فائق مصطفى أحمد . بغداد . وزارة الثقافة العدد رقم ٢٣١

٣ ــ جحا العربى . د. محمد رجب النجار . عالم المعرفة (١٠) الكويت .

٤ ــ الأدب الشعبى . أحمد رشدى صالح . الطبعة الثانية ١٩٥٥ مكتبة النهضة المصرية .

٥ ــ الفلوكلور ماهو فوزى العنتيل دار المعارف ١٩٦٥ .
٦ ــ المحرض دراسة فى ادب فؤاد حجازى . محمود حنفى كساب (ادب الجماهير) (٢٥) ١٩٧٣
٧ ــ الشطار والعيارين . محمد رجب النجار . عالم المعرفة . الكويت .
٨ ــ البنيوية التكوينية والنقد الأدبى . (مترجم) (مؤسسة الابحاث العربية) ١٩٨٤ المراجع محمد سبيلا .
٩ ــ النقد البنيوى الحديث . د فؤاد ابو منصور ــ (دار الجيل ــ ١٩٨٤) .
١٠ ــ الابداع والشخصية عبد الحليم محمود السيد (دار المعارف ١٩٧١) .
١١ ــ اتجاهات القصة المصرية القصيرة . د. سيد حامد النساج دار المعارف ١٩٧٤ .
١٢ ــ كتاب أوراق ادبية . فؤاد حجازى ادب الجماهير ١٩٨٠ .



مقدمة الطبعة الثانية

اطلالة على ماكتبته فى الستينات . شاقة ومفيدة . شاقة . لاضطرارى لاستعمال قلمى فى أعمال نشرت من زمن بعيد . حذف جملة تقريرية ، الاستغناء عن وصف يشكل عبئا على القصة . إصلاح جملة غير مستقيمة العبارة .
ومفيدة . لأننى عرفت أين أنا .. وماذا فعلت .. وتمكنت من تقويم ماكتبته طوال ثلاثين عاما .

فى الستينات . عندما كتبت أقاصيص (كراكيب) كان الاهتمام بالشخصية .

وفى السبعينات ، وضح الاهتمام بإبراز التناقضات . وتوارت الشخصية قليلا .

وأصبحت القصة تتحدث عن المعكوس كأنه هو الصحيح . وغير المعقول كأنه هو المعقول . وتجسد هذا الاتجاه فى مجموعتى (الزمن المستباح) .

وفى الثمانينات ، جنحت نحو أساليب جديدة أزعم أنها تعميق للواقعية فى بعض الأقاصيص . ونحو الاستفادة من القصص الشعبى . سواء فى إحداث الأثر أو فى بناء القصة ، فى أقاصيص أخرى .

وتمثل مجموعتى (النيل ينبع من جبل المقطم) هذا الاتجاه بشقيه . بعد أن ضممت إليها أقاصيص (الصعيدى التائه) التى يغلب عليها الأثر الشعبى والتى صدرت عن « آفاق ٧٩ » .

وبالطبع ليست كل حقبة منقطعة الصلة بما قبلها ، فسوف نلمح جنينية لإبراز التناقضات فى المجموعة الأولى ، واتجاها لاستعمال الأساليب الجديدة فى (الزمن المستباح) .. وهكذا .

ولقد جمعت فى هذا الكتاب أغلب أقاصيص المجموعة الأولى التى صدرت باسم (كراكيب) وضممت إليها الأقاصيص المعاصرة لها ، والمنشورة فى المجموعة المشتركة (عقد من طرف واحد) التى صدرت عن هيئة الكتاب .

والأقاصيص المنشورة فى المجموعة المشتركة (كش ملك) التى صدرت عن (أدب الجماهير) . وأضفت قصصا لم يسبق نشرها فى كتاب ، ونشرت فى نفس الوقت فى مجلة (آخر ساعة) وكذا قصة (عمر إبراهيم) ونشرت فى مجلة الثقافة (القديمة) وهى أول قصة تُنشر لى . ونشرت معها النقد الذى قيل بشأنها . وهو أول نقد يوجه إلى عمل من أعمالى . ورأيت تعميما للفائدة أن أنشر بعض المقالات التى واكبت صدور هذه القصص .

وبالإضافة إلى ماتقدم كتبت مجموعتين أخريين :

* سلامات ، وقصصها عن موضوع واحد هو الحرب

* سجناء لكل العصور . وقصصها عن موضوع واحد هو السجن . ولكن تتميز عن سلامات بأن بها شخصيات محورية تجد لبعضهم امتدادا فى كل قصص المجموعة . ومن الممكن أن تعطى طعم الرواية .

فؤاد حجازى

المنصورة فى ٦ / ٧ / ٨٣



عم إبراهيم



عم إبراهيم

لم يكن يظن أحد أن الرجل الطيب يستطيع أن يركب رأسه . وساقت زوجته عليه النبى ولا فائدة ، وساقت عليه الدلال مرات دون جدوى . ولجأت إلى أهل الرأى والمشورة فى العائلة وخارجها ، ليحملوا الرجل على تغيير رأيه فلم يفلحوا .

وحار أبناؤه فى أمره ، واعتبره ابنه الأكبر : عجوزا مخرفا لايعرف صالحه . وفى لحظة من ضيق الخُلق صاح عم إبراهيم :

ــ لأ يعنى لأ .. قلتها كلمة وهى حكمة . وكادت امرأته تعاند ، لحمله على تغيير رأيه ، وفكرت أن تغضب وتخلى الدنيا فى الدين ، ثم راجعت نفسها ... يابنت بعد العمر الطويل نهلل والدنيا « تتفرج » علينا .

ورغم مابدا من استكانتها ، إلا أن داخلها كان يغلى ويفور ، وتحكى حكايتها لكل من كان ، وفى كل فرصة تلقى بكلامها لزوجها ، وكأنه من وحى ساعتها ، متعمدة أن تصيب منه مطعنا :

ــ خيبة على بختى المايل .. طول عمرك يازمن على دى

الدقة !! أما عم ابراهيم فكان يتلقف سخريتها ويحيلها إلى مرح مصفى ، وإن كان لايخلو من معنى :

ـــ باين عليكى عبيطه ... ياوليه بعد الضيق فرج . وتحنق امرأته .

ـــ طول عمرك على كده يادى الراجل . ولا يتركها عم إبراهيم تكمل كلامها فيقول :

ـــ لها النبى إذا عظمت . ثم يكرر حكمته الخالدة :

ـــ لازم بعد الضيق فرج .

وتبتسم امرأته ، وتتمتم لنفسها : آمنت بالله ... يضيع الفرصة من يده ويستجار فى النبى .. خليه ينفعك !

وعبثا حاولت زوجته أن تعرف سبب رفضه فلم تفلح . والحق أن عم إبراهيم نفسه لو سئل عن سبب رفضه لما استطاع له تأويلا . كل ما أحس به أنه لايستطيع أن يدخل المبنى القاتم ...

كان يقع فى شارع لا اسم له ، تحيط به الشوارع من الجهات الأربع ، ولا يلتصق به مبنى آخر كأنما يخشى العدوى . بناؤه بالطوب الأحمر ، انطفأ لونه من القدم . والمكان هامد ساكت ، لا حركة ولاحس . رغم اتساع المبنى تمر به ولا تلحظه ، وإن لحظته فلأنك ترى القاذورات المحيطة

به ، حيث إتخذ الصبية من جدرانه مباول .

وبجوار جانب من المبنى تصطف خيل العربات الكارو كل صباح لغسلها . ويبدو المبنى شاذا بصمته وسط مايحيط به من حياة ، فلا ضلفة شباك تطرف ، ولا صوت إنسان يزعق ، مع أن الجوانب الأخرى للشوارع المحيطة به يشغلها فرن .. ومحال تجارية ... وورشة لتصليح الراديو .. ولكن كل ذلك لم يؤثر فيه .. !!

ومدخنته .. هى أول شيء اعترى نظر عم إبراهيم ، عليلة ، قصيرة ، يتسرب دخانها خفيفا كالأشباح ، ويتصاعد فى بطء ليلتقى مع غمامة من السحاب الأسود تحيط بالمكان ، وتضفى على الملجأ قتامة وكآبة .

وقديما قالوا أنه كان ملجأ للعجزة ، ولذلك لايصدر عنه أى صوت ولكن ماقولكم الآن وهو ملجأ للأطفال اليتامى . ولفت نظر عم إبراهيم شجيراته الطالة من سوره الحجرى الأصم ، وكان مما حير عم إبراهيم — وهو الفلاح الذى لم ينسه عمله فى المدينة النباتات وأنواعها — أنه كاد يعجز عن تحديد اسم لهذا الشجر ، وتعجب لتيبسه وعدم ازهاره مع أننا فى الربيع .

وعندما سرح بذاكرته قليلا .. لم يتذكر مرة واحدة رأى فيها أوراق شجره تساقط أو تزهر . وأحس برهبة تشله عن

دخول المبنى الذى لم ير فيه وجه إنسان .. .

لذلك سرعان ما ارتد وهو يلعن الجنيهات الزائدة التى كان سيتقاضاها إذا ترك المدرسة التى يعمل بها والتحق بهذا الملجأ .

واحتقر قول امرأته « مال يتامى ولا حد دارى » واعتبرها لاتفهم شيئا . وعندما ينهرها « ياوليه اتقى الله » تسارع بالرد « أيوه أهو إنت كده ... إن ماكناش حناخد احنا حياخد غيرنا » .

والحق أنه كان يلتمس لها العذر فيما مضى . كان عنده الأولاد وأفواههم المفتوحة أما الآن فبعد أن توظف الأولاد ، فما حاجتنا ياوليه يادون ؟

وتذكر عم إبراهيم العلل التى تزايدت عليه مع كبر سنه ... كحته ووجع جنبه .

ــ فى الملجأ سيجد راحة تناسب شيخوخته ، فلن يزيد الأيتام عن مائتين ، ويستطيع أن يستخدم النزلاء فى العمل كيفما شاء ، ويستريح من الطبخ لألفى تلميذ ، ولكن كيف يسمح لأغراب أن يدخلوا مطبخه ...

لا .. لابد أن يشرف بنفسه على كل كبيرة وصغيرة .. اصطفاف الطاسات والأطباق فى شكل هندسى .

مفرمة اللحم تنظف جيدا وتنشف ...

السكاكين والملاعق .. مافى الدولاب فى الدولاب وما على الرف على الرف .

والموقد وسط المطبخ ، عليه الأوانى الضخمة تشع من تحتها نار عظيمة ، تسوى الطعام للأولاد ، وبين كل لحظة وأخرى ، يغذى النار بقطعة من الكسب .. ثم تتسع ابتسامته ، ويغذى النار بالمزيد فتتصاعد ألسنتها .. تلفت حوله .. وكأنه رأى زوجته ، أخرج لسانه وضحك ..



بائع بالعمولة



بائع بالعمولة

أقسم للمرة العاشرة أمام نفسه ، أنه ذاهب فقط من أجلها . ومنى النفس بزيارة سريعة يعود بعدها ممتلىء الوفاض ، ويقضيان معا سهرة ممتعة .

ارتاح لهذا الخاطر فمشى يدندن بلحن شائع . وزيادة فى الانسجام بحثت يده عن علبة سجائره ... نظرة عاجلةوشوح بها غاضبا . كان يعلم أنها خالية ، وأنه « خرمان » بلع كذبته على نفسه وقال يحاورها : ماذا يهم ؟ .. ألسنا متحابين ؟ .. وعلى أيه حال فهذه آخر مرة .

حاول أن يتفاءل . بسط ملامح وجهه قليلا ، ولكن سرعان ماعاودته الجهامة ، فهو يعلم أكثر من غيره أنه يكذب فى ذلك أيضا ، فليست هذه آخر مرة .. فكم وعد حبيبته سميرة ، ووعد نفسه أن يكف ، ثم يجذبه البريق .

مالى وهذه الأفكار الآن .. عليك ياعبد النعيم بترويق دماغك . فكر فى الزيارة التى أنت مقبل عليها بعد قليل .. هيا .. أين أنت أيتها الشطارة . أين الكلمات المسكرة التى سأبدأ بها ؟ ..

وشرع يتخيل كيف يكون وجهه بشوشا وهو يقابل عميله ،

وأية كلمات منمقة سينطق بها . انزوى فى ركن من حديقة عامة ، وأخذ يلقى على عينات من بضاعته نظرة أخيرة . رتبها بالوضع الذى يسمح له باستخراج القطع التى تدخل السرور على ربونه أولا . زجاجات الروائح العطرية فى المقدمة . فلتختف هذه الزجاجة الضخمة فى قاع الحقيبة ، وهذه أيضا .. ولتبرز تلك بغلافها المذهب الأنيق . تشمم قطع الصابون . هذه أجود من تلك.تأكد من رائحتها ثانية ، ولكن الثانية رغم رداءتها ذات غلاف جذاب . تكفى الصورة العارية لتنسى الرجل نفسه . تيقظت حواسه كأنما تناول بعض المواد الحريفة . تحسس دفتر إيصالاته وجهز بعض الاعلانات . لاشك أنها ستكون صفقة موفقة . سترفع رأسه فى الشركة .

قبض على حقيبته ونهض . سخر من حكاية آخر مرة . كلام نضحك به على عقلها . اقترب من محل عميله . تباطأ قليلا ريثما يأخذ هيئة جادة بعض الشيء . واستعد لملاقاة الرجل . أعلم أنه رجل لا يحتمل .. ولكن عليك بتحمل المكاره . دقائق وينتهى الموضوع وتحصل على عمولة مجزية . تشجع وتحمل وجهه الكريه . امتدت يده سهوا عنه تبحث عن سيجارة .. تذكر .. فألقى يده إلى جواره .. قطب جبينه وهو لايدى بأى شيء يستعين على مقابلة هذا الرجل الجلف .. مامن مرة قابله إلا « وعكننه » وأحيانا تقضى مساومته على حصته من العمولة .. ويضطر رغم ذلك لابرام

الاتفاق ، خوفا أن يظهر أمام رفاقه فى الشركة بمظهر الفاشل
لابد أن الرجل الخبيث أدرك علته فيضغط فى مساوماته

يارجل .. إنه أغبى من ذلك . ولكنه على الأقل تاجر ذو
مخالب .. ما أن ينشبها فى جسدى حتى أوشك أن أنهص
لأمزقه ، ولكنه العمل ، يضطرنى إلى التعقل

خبرته بأحوال السوق لاتقبل الجدل . كيف أقابل هذا
الشيطان .. ؟ وهل أستطيع انتزاع شىء منه . أن أية حيلة تتعثر
خجلة أمام سحنته الجامدة . عيناه جاحظتان ملتهمتان تعرفان
ماتخفى الصدور .

راودته فكرة العودة ، والذهاب إلى سميرة والاستسلام لكل
طلباتها .

لماذا ؟ .. إنها مجرد عاملة رغم أنها حاصلة على دبلوم
الفنون ، ارتضت العمل فى قسم الطباعة بشركة نسيج .. وكثير
ماتباهت أمامه أنها تقضى ساعات عملها السبع ثم تغدو حرة
بقية يومها . تشرق عيناها وهى تقص عليه سعادتها عندما تنجح
فى تصميم نقشة ما أو فى اختيار ألوان جميلة موفقة . ولا تكاد
الدنيا تسعها وهى ترى الأقمشة المنتجة ، وتشعر بينها وبين
نفسها بلذة خاصة .

بنت خيالية لاتفهم الدنيا كما يجب . وعلىَّ ألا أستسلم

لتلك الأفكار المخذلة . هل أضعف أمام هذا الرجل الشرس ؟ .. هيا إلى النضال . سجح فى دفع الحمية إلى بدنة . ولكنه آثر التريث ، آه .. لو فنجان قهوة مضبوط يستعين به على مداورات ابن اللئيمة . اتجه إلى مقهى قريب . وسرعان مالاح له إفلاسه فمشى مطأطىء الرأس .

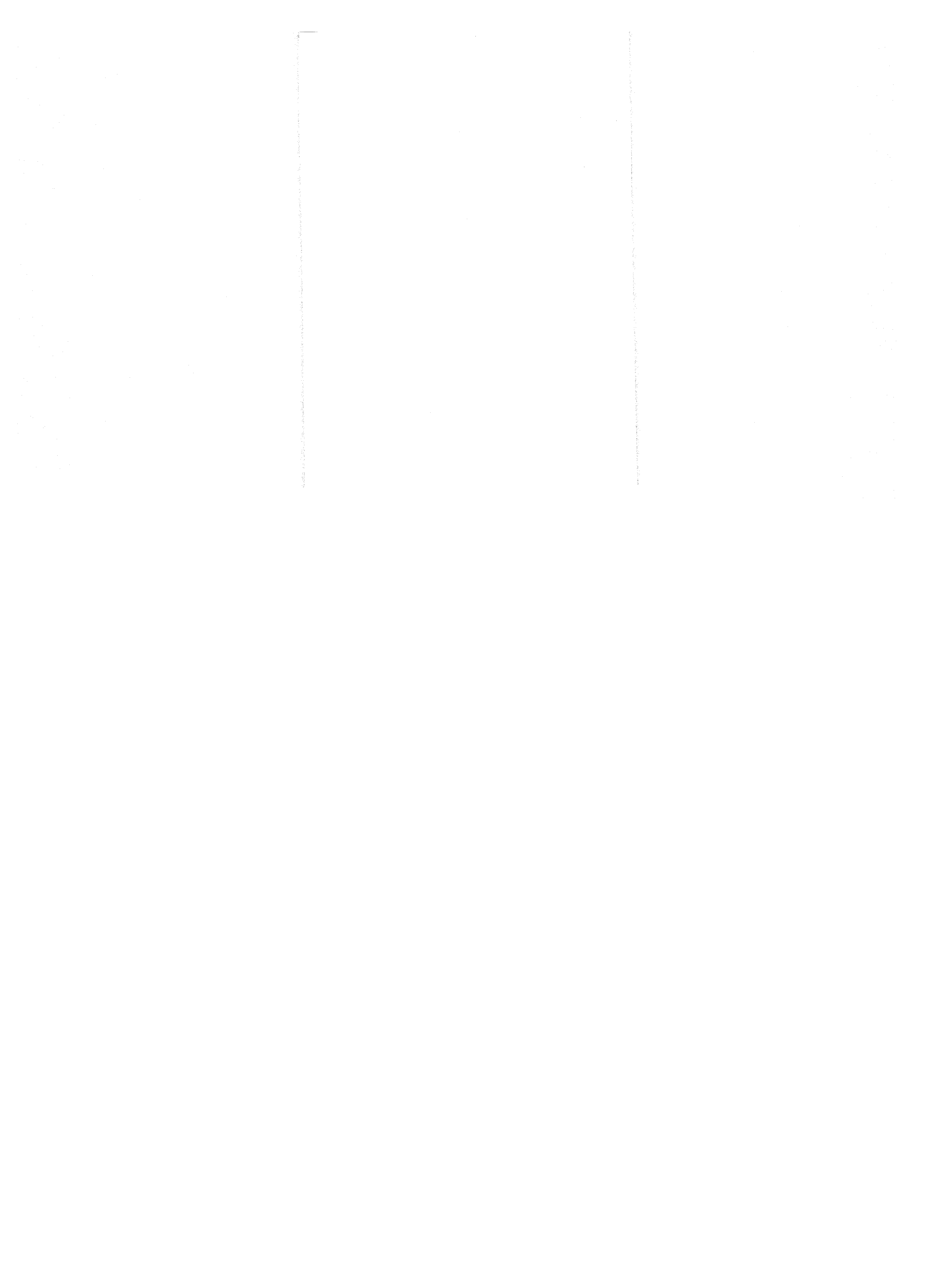
تذكر عميلا آخر فى شارع قريب مدينا له ببعض المال . الحاج شحاته صاحب صالون الجمال . قال جمال .. لماذا لا تسمى الأشياء بأسمائها الحقيقية ؟ .. لشد مايكره الحاج شحاته . تشبه قدماه ضلعى المقص . كثيرا ماركنه حتى ينتهى من حلاقة قفا أمامه . وتساءل ساخرا : متى حج هذا الرجل دو الذمة الخربة . لابد أنه حج على ماعز يلطعنى أنا .. أنا عبد النعيم عثمان حامل الثانوية العامة التى لم يلحسها لا هو ولا أبوه . أقسم أن أباه لم يفك الخط يوما . لعن الظروف التى تضطره إلى تملق رجل جاهل . وماذا أفعل ؟ .أليس كل ذلك من أجل المستقبل ؟ ولكن أى مستقبل هذا وأنت تعرض نفسك منذ عام لهذه المحن المنفرة ؟ فكر أن يقصد المعلم شعبان البقال . رجل دو مروءة وشهامة . وكثيرا ما أخجله كرمه . كان يلمح فى عينى الرجل عطفا أبويا . ليس هذا بمستغرب .. فالرجل صديق قديم لوالده رحمه الله .. ولكنه أصبح يضيق بعطفه هذا . يشعره أن الرجل يفعل ذلك إشفاقا عليه لتعرضه لمسخرة التجار .. لا .. لاأريد هذا العطف الذى يتيح

للرجل فرصة يسمو فيها عليّ . أنا أحسن منه . وغدا سأفوقه . وقطعا سيأتى اليوم الذى أرسل له فيه مندوبى .. ولن يكون هذااليوم ببعيد .

أحس بضيق شديد من نفسه التى لايعجبها العجب ولا الصيام فى رجب . إذا عامله الناس بخسة أصابته « العكننة » . وإذا رق له أحدهم ، لعنه فى سره وشعر بحرج عميق يخدش فتوته .

هل يضحى بحريته ويصغى لكلام سميرة ويؤهل نفسه لمدة شهرين أو ثلاثة فى مركز تدريب يصبح بعدها عاملا فى أحد المصانع الجديدة ؟ .. صعبت عليه حريته . إنه يستيقظ الآن فى أى وقت يشاء .. ويعمل وقتما يريد .
.. هل يعلن تراجعه أمام سميرة .. ؟!

ياسيدى .. لاتبال . إنها طيبة ولن تهتم بتلك التوافه التى لاتدور إلا فى رأسك . أسف لأفكاره التى راودته بتركها .. عندما كان يحلم أن يصبح من أصحاب السطوة .
أحس بحنين نحوها .
أسرع فى المسير ، متلهفا على رؤيتها ، متعجلا الإحساس بالنشوة التى تغمره عندما تنظر إليه بعينيها المرحتين .



عايز يخدمه



عايز يخدمه

نفرت عروق وجهه ، فبانت تحت مايكسوها من جلد أسمر ، فى وهج الشمس ، كأنها مصارين طائر مذبوح .

عيناه الضيقتان قاتمتا السواد ، نظرات الغلب ، ولولا بقية من عزم لفر راجعا ، وأراح نفسه من اللف فى عز ظهيرة الصيف .. الهواء نفسه همد ، وبدأت أبواب سوق التجار تستكين تحت اللفح الحارق ، وشرع أصحابها فى مغادرتها .. وهو مازال يمنى النفس بالأمل . مضى يجر ثقل جسده الضخم ، متحملا ماينزف منه من عرق ، مفضلا ذلك على عودته إلى المنزل « ايد ورا وايد قدام » .

اجتر فيما يشبه الأسى المضحك .. (وشعر لحظتها بطعم الملح فى زوره) .. اجتر قول امرأته عنه إلى نسوة الحارة .. « سى أحمد ياختى دايما حلال العقد » .. فترد عليها جارتها : « أيوه ياختى .. ربنا يديم البركة فى أيديه .. ؟ » .

وقف على ناصية حارة فى السوق يتشمم الجو .. ويحاول الرؤيه خلال الحر وبخر الماء المراق ، وأصلح من وضع حزامه التائه بين ثنيات كرشه ذى الأربعين عاما ...

دار فى نفسه وقد أوشك أن يغمى عليه من شدة الضيق : ابن دين الـ ... لا أثر له .. هل أذهب للسؤال عنه ثانية .. قسما بالله لست أذكر هل هى الثانيه أم الثالثة .. أم الرابعة .. ولكن الواحد تخجل من العجوز الرابض هناك كالبومة .

ولأنه لم يستقر على رأى ، فقد شغل نفسه بتأمل أرضية الحارة ، المبلطة بقطع ضخمه من حجارة البازلت ، غطيت جميعها بالتراب فلم يظهر منها غير خطوط متقاطعة كصلبان المقابر . وتناثرت الأصباغ والزهرة الزرقاء ، من البراميل المرصوصة على جانبى الحارة ، وكأن المرئيات فى هذه الحارة لها نوايا خبيثة تخشى افتضاحها ، أخفت نفسها تحت نثار الصبغة الزرقاء ، وهى مادة التجارة الأساسية هنا .

وكالعطشان يرى الماء فيتهالك عليه ، كاد سى أحمد — لولا بقية من حياء — أن يرتمى على قفا صاحبنا الذى لاح له داخل المحل . ذهب إليه وقد أشرقت أساريره ، وزغردت عيناه ، ورغم كرشه وأحماله الشحمية فقد سار فى خفة الغزال .

لم يكذب خبرا وصاح : من صباحة ربنا وأنا دايخ عليك ياسيد أفندى . التفت إليه ، فطالعته سحنة جامدة ، بددت الفرحة التى غمرته منذ قليل ، ومع أن قلبه طب ، فقد داعبه شعاع من رجاء ، وأخجلته لهجة التردد ، وللحظة خاطفة

غضب من نفسه لتلمقها رجلا لايستاهل .

ولم يلبث أن راجع نفسه :(ماذا أفعل .. ؟ .. هل أكون فى حاجة إليه وأقابله « وبوزى ممطوط شبرين » .

قال سى أحمد وقد استعاد هدوءه :

ـــ عايزين من سيادتك شغلانه بسيطه . رد سيد أفندى فى اقتضاب :

ـــ احنا دايما فى الخدمة .

ولم يعن به ، وانصرف يرعى شئون دكانه ، من بيع الأصباغ ولوازم العمارات .. إلى الاطمئنان على قيدها فى الدفاتر . يستفسر بين حين وآخر من الرجل العجوز .

وأثناء ذلك كان يعير ـــ أحيانا ـــ أذنيه الكبيرتين إلى سى أحمد .

ضيق سيد أفندى حاجبيه الشوكيتين النابتتين إلى الامام ، كأنهما زعانف سمكة ، وزام بمنخاره القصير ، وتنقل بجسده النحيل فى المحل بخفة .. وأخيرا قال :

ـــ أيوه ياسيدى أى خدمة .

ـــ أبدا .. عايز أعمل استمارة وناوى أبيعها .

قال سيد أفندى كمن دهش :

ـــ طيب ماتعمل ... !!

ــ أصل يعنى ..
عاجله سيد أفندى .
ــ وهوه سيادتك بتشتغل فين ؟
ــ فى المنطقة يافندم .. كاتب فى المنطقة التعليمية ..
ــ أهلا وسهلا ..
ــ أهلا بيك (ثم فى حرج) .. بدى أعرف بتاخد على الميه كام .
ــ زى السوق .. ماأنت طبعا عارف ... الميه ١٦ .
ارتعش جسد سى أحمد .. واحمر وجهه خجلا وصمت ، فاستمر سيد أفندى :
ــ وعلشان خاطرك الميه ١٥ .
ــ برضه كتير
ــ لا .. لا ..إنت عارف الظروف دلوقت صعبة .. وداخلين على عيد وموسم . لو كنت جيت فى الأوكازيون ... كنت خدتها بأقل من كده ..
ــ يعنى دا آخر كلام
فى غير اكتراث قال سيد أفندى :
ــ أنا عايز أخدمك ..
ــ طيب أما أشوف .
نطقها سى أحمد ، وسار كالمذعور . وظل يردد فى نفسه ...

يأخد على المائة ١٥ .. ماذا يتبقى لى من الاستمارة . ألا يكفى سيد أفندى ماسيكسبه من بيع القماش قيمة الاستمارة . عنده حق .. لم ير ذلتى أمام رئيس الحسابات حتى اقتنع واعتمد لى استمارة يقسط ثمنها من مرتبى ..

ولكنى معذور.. ولا أريد الملابس . ألا يوجد أحد ابن حلال يكون فى حاجة إلى ملابس فيشتريها بالاستمارة ويعطينى قيمتها نقدا .

لايوجد غير النساء الملعونات ، الجالسات على أرصفة السكة الجديدة بجوار محلى بنزايون وصيدناوى .. يجذبن أصحاب الاستمارات .. ثم يتاجرن فى القماش على نفس الأرصفة .. عليهن غضب الله .

ولكن هل أهرب من حيل النساء لأقع مع هذا الفأر الملعون . يارب ماذا أفعل .. ؟! ومرتبى لايكفينى وزوجتى والأربعة أولاد . كل سنة تزداد المصروفات . كل شهر يحدث عجز فى مصروف الأكل .. حتى إذا مابلغ الدين شأنا تصرفت زوجتى فدخلت فى جمعية ، أو أخذت سلفة من المصرف على المرتب . كان هذا يكفى لسد العجز فيما مضى ، أما الآن والمصروفات فى زيادة والأسعار فى ارتفاع .. فقد نفدت حيلى . لا .. لن أبيع الاستمارة.. خسارة فى عنقه .. سأشترى بها ملابس وأفرح العيال .

مضى بخطواته المتثاقلة . وهو متأكد أنه سيرى لنفسه حلا .. أول الشهر يتبخر المرتب .. قسط للجمعية .. وقسط لسلفة المصرف .

خيل إليه أن شحمه يساقط ساخنا يغلى ، ودوى فى مناطق مجهولة من رأسه تكاد تحطمه ، قول النسوة : سى أحمد حلال العقد ..

لم يعد يدرى هل يبكى حقيقة أم أن الدموع تجمدت فى مآقيه . وشعر بعطف شديد فى نفسه على زوجته ، أم العيال المنتظرة .. وتزاحمت عليه طلبات الأولاد . اغتصب ابتسامة وقال لنفسه : بيتى فى حاجة إلى بحر من الفلوس .

هانت عليه نفسه . كفر ثم استغفر . فقد جزءا كبيرا من احترامه لنفسه .. ثم استعاده . وأيقن أنه سائر إلى الجنون لا محالة ، بينما كانت قدماه تسوقه إلى سوق التجار .

غراميات عريف



غراميات عريف

ثمة نوافذ سهرانة تلوح من بعيد .. والقاهرة ساجية تلعق أقدام الليل أسفل التل المقام عليه مدينة نصر . وتبدو العمارات كأنها بنيت من منتصفها .

والصحراء أمامها لم تعد صحراء .. امتزجت ذرات رمالها بذرات لون الليل التى لم تكن معتمة ، فضوء القمر يتسلل فى رفق ويخدش سكون الكون . والأفق يلتحم بالأرض ، ابنته الرؤم . وتلاشى وجود أى خط فاصل بينهما . وبضعة سحائب صدفية التشكيل ، غمامية اللون . ولا هواء ، رطوبة ندية تفيق ، تبعد النوم عن الجفون ، وتبعث الشباب حارا ، ورديا فى الوجنات .

صعرا ظهريهما لمدينة نصر ، غير عابثين بالأحياء فيها .. وهل عاد ثمة أحياء . الكل نائم . نعسان .. استعانوا على الحر اللافح فى أول الليل بالهرب إلى المضاجع ... وأنّى لهم الآن أن يدروا أن النسمات مع رقتها ، قهرت « الشرد والصهد » . رغم حرقتهما غزا النوم كل شيء .. وتسلل بسحره الذى لا يقاوم إلى عينى حارس عمارة الحبيب .. صحيح هو واقف ويحمل سلاحه على كتفه ، ومهمته حراسة الجنود داخل العمارة ،

لكن كل شيء فيه يشى بالنوم . أجفانة تهدلت . وقفته تراخت ، واستند بجذعه على حافة الباب . البندقية هى الأخرى نامت على كتفه فمالت قليلا إلى جانب .. وبدا السنكى مشرعا يهزأ بالليل ..

وفى رتابة ترددت أنفاس صدر رجراج ، صاحبته هى مراقبة البنات ، فى العمارة التى تقيم فيها ممرضات المستشفى العسكرى . وتلك لا تبعد عن عمارة الجنود سوى بضع عمارات وكانت من العمق فى النوم بحيث لو أقيم عُرس فوق رأسها ماغيرت أنفاسها رتابتها وانتظامها .

ولكن عين الحب ساهرة ، لايقوى سلطان النوم على منازلتها والحبيبان فى حالة لاتوقت بزمان ، ولاتحدد بمكان ..

— لم تحدثنى عن بلدتكم .. تعثر تساؤلها فى استحياء ، وكاد يضيع فى جوف الليل . فى أعماقها داء ينهشها . أنها ليست أهلا لأحد أليست ممرضه ! . وتلك الفئه يقال الكثير عن فساد أخلاقها . ترى هل يثق بها حقيقة . هل يحبها كما يزعم لها .. أم أنها مجرد تسالى . لقاءات عابرة يأخذ منها مايستطيع .
انتزعه التساؤل من جلال الليل :
— نعـم

نظر إليها فى بسمة حالمة ، وكانت عيناه كمن يقرأ شيئا فى أعماق الصحراء .

— أتعرفين النيل الذى يمر تحت كوبرى قصر النيل .
— هـه
— نفس النيل الذى تقع عليه بلدتنا المحمودية .

قبل أن تعلق أومأ برأسه :
— نعم . ترعة المحمودية التى تصل إلى الإسكندرية ... قال عبارته كمن تيقظ ليؤدى واجبا محددا ثم ينام بعده فى الحال . تاه ثانية فى السكون وإن بحثت يده عن أناملها ، تتحسسها فى رفق .. وحنان .

استطال جسدها الصغير المنكمش ، وحركت ذراعيها وكأنما ستنبت فيها عشرات الأذرع ، تلف بصاحبها تعتصره لتخرج منه الحقيقة . وزفرت دون صوت ، عيناها تنظران إليه ، مستجمعة قوى الأنثى فيهما ، وبسمة خبيثة نطق بعدها اللسان :
— إبراهيم .. أمس جاء لى واحد مهندس وبابا وافق .
نظر إليها فى انتفاضة هائلة كادت تحيلها إلى صخر .

— وأنت .. ماذا قلت ..؟ لم تجب ، ونظرت إلى الأرض .
تطلع إبراهيم فرج إلى السماء لعله يستشف السر . أخذ يناجى نفسه فى حزن : لماذا أنا .. لماذا أنا بالذات غير موفق مع البنات . أول واحدة وأنا عندى ١٦ سنة . يومها قالوا القيامة ستقوم عصرا . اشتريت سيجارتين ، وركبت دراجة

من الدكان ، فأنا ميكانيكى موتوسيكلات ، اصطدمت بفتاة فى مثل عمرى . كانت تحمل شفشقا به عصير قصب . انكسر الشفشق وولولت البنت ، طيبت خاطرها واشتريت لها غيره ، ملأته حتى حافته بالعصير . عرفت بيتها وعرفت دكانى . مشيت معها ، واشتريت لها أشياء كثيرة . شبكتها . وعندما طُلبت فى الجيش رموا لى الشبكة . رحت أسأل ما الخبر . قال الناس : لها قريب عاد من حرب اليمن ومعه فلوس كثيرة .

قلت لازم أسيب البلد . رحت كفر الدوار ، زوج أختى يعمل هناك . يسكن فى شقه مشتركة . فى الضحى قمت أشطف . شفت أنيسة بنت زميلهم فى السكن . أبوها يعمل فى محل « اكسسوار » دراجات وموتوسيكلات . ٢١ ألف عامل فى المصنع بـ ٢١ ألف دراجة . الغرض اشتغلت معه فى الدكان . الخير جرى . كنت أوفر سبعة جنيهات ليس من حق أحد أن يأخذ منهم مليما ..

نظر إلى جارته .. وحق من جمعنا .. أنا أحببت أنيسة . كانت حلوة وكنت لما أتأخر تسأل علىّ . صحيح كنت أمسك نفسى على الآخر .. إنما بوستها . ولم يكن ما بيننا خافيا على أحد ، أمها عرفت وأبوها عرف .. وأختى لاحظت ، قلت لها قصدى شريف .. أتزوجها قالوا مخطوبة وخطيبها اسمه غزال . اغزال وصله الخبر . البنت لم تكن تحبه فهى لم تره كثيرا . خطبوها له . قرر غزال يوما أن يأخذها معه إلى بيته فى

مكان اسمه سيدى شحاته . والبنت عارضت . أخذها غصباً وهناك أخذ منها الشبكة .

جاءتنى أنيسة باكية . كنت فى هذه الأثناء أسكن وحدى فلم أتحمل . صنب البنت . أرسلتها إلى أبيها . وبما أنى السبب فيما حدث فقد ذهبت وتكلمت عليها . وافقوا ومشيت معها ، أحببتها جدا . وبدأت أستعد للزواج . اشترط أبوها ، قلت على عينى . قال أجهز البنت كما تريد لكن لاتأخذ مكنة الخياطة معها . كما تعلمت هى لابد أن يتعلم إخوتها ..

وأنيسة تحب المكنة ، ولاتريد أن تفارقها ، ركبت رأسها فى منتصف ليلة ممطرة وفكت رأس المكنة وجاءتنى مبللة بالماء . قلت لها أنا أحبك ياأنيسة وأنت تحبيننى ، ولكن أهلك ، عودى إلى أهلك أحسن .

تنهد .. وتأمل هنية المتشحة بالسواد . عاملة حشمة .. على الجمال الصارخ .. ! علام جاءها المهندس ؟! لجمالها أو مالها .. ؟!

كنت راضيا .. وأصحابى كلمونى : لماذا هذه .. قلت لهم : لاشأن لكم ... عاجبانى . وأين أنت من جمال عطيات . أنا الذى أستحق هذا .. أنا الذى تركتها .

كنت وقتها فى مركز تدريب الجنود . فرقة أتعلم فيها كيفية

تعليم الجنود المشى العسكرى والضبط والربط . أصبح بعدها عريفا . وتعرفت هناك بجندى مؤهلات أخذنى إلى حيهم ... وهناك تعرفت إليها ... جميلة ... هادئة .. لا مطالب لها . ذهبت وتعرفت إلى أمها التى كانت قريبة للجندى صديقى . قالت أمها : أمرك . أخذت على البيت وأحبتنى الأم كأنى ابنها . ولكنى تراجعت .. لم أكن كُفئاً لهم .. أغنياء عندهم عمارات . ملابسهم أشكال وألوان . وطعامهم لاسابق معرفة لى بأصنافه . هل أضمن لعطيات أن تعيش معى هكذا .. ؟! صارحت أمها بالحقيقة .. قالت : لاشأن لك ، سأدبر كل شىء . ولكنى رفضت .. رفضت أن يدبروا لى أمرى .. وهل أستطيع أن أرفع رأسى يوما ..

رفع رأسه إلى هنيه التى كانت ساهمة حزينة . إنها ليست أهلا له فعلا .. وتضخم الداء .. وبدأت تعيد تقويم جمالها ، وتضاءلت أكثر فأكثر .. وفكرت فى مركز أبيها العجوز الذى يسكن بها وأخواتها فى شقة متداعية ، دور أرضى ، بالوايلى الكبير

وماذا يعنى .. أبى باشكاتب صحة بالمعاش ، وماذا هو ؟ « حتة عجلاتى »

وتصعبت على أيام جابا فيها شوارع مدينة نصر المستقيمة الخاوية ، تظللهما البنايات الفارهة الأنيقة التى لم يسكنها أحد

بعد . وتحت القمراية .. متمتعين بجو المدينة اللطيف المنعش .. يتناجيان .. ويسرحان .

وسمعت منه ألفاظا جميلة ، تصف محاسنها وأدبها .. ولماذا اختارها هى وحدها دون سائر الممرضات جميعا . مع أنه يراهن صباح مساء ملطوعين فى الشرفة .. وأثناء خروجهن وفى العربة الجيب إلى المستشفى .

ولم تكن تخفى عليها وسامته . شاربه الرفيع الأصفر ، الخفيف . وجهه المستدير البرونزى ، لفحته أشعة الشمس من سيره بالموتوسيكل فى الجو المشمس . شعره قصير يميل إلى الشقرة . عيناه صغيرتان ، دقيقتان ، قامته متوسطة . يزيدها ارتفاعا انتصابته المستمدة من مشيته العسكرية النشطة .

وهى بجواره صغيرة القد . سوداء العينين . متواضعة الساقين . تخفى رداءة شعرها ، الذى زهقت من تسريحه تحت إيشارب أسود .

الليل يتقدم .. والصبح يوشك أن يبدد الخلوة .

تعزى كل منهما بخواطره ، تطلعت إليه وبقايا خواطرها تبعث حزنا إلى نفسها : طبعا لايحبنى .. أجلس بجواره ولا يشعر بى ...

ونطقت تتشبث برجاء :

ـــ رد . لماذا السكوت .. ؟ شملها بنظره فى حيرة : أنت التى كنت أحدث نفسى عنها .. هى ليست كأخريات

قال فى ضجر . وهل عاد هناك رد ثم استطرد فى أسى : ألن تتزوجى المهندس . تمطط كيانها الضئيل وقالت :
ـــ أنت صدقت ؟!



الشقة الجديدة



الشقة الجديدة

قامت الأم ، تسير بتثاقل ، تجر جسدها المتداعى ، تطوف نظراتها الغائبة أركان البيت ، فتوحى إليها بمعان لايدل عليها حاضر المكان .

وكانت هذه المعانى تنمو فى أعماقها بقوة وعنف واضطراب ، سيطر على مجرى تفكيرها كله . وكانت تجاهد فى طردها محاولة تثبيت أقدامها فوق أرض الواقع — ولكن هيهات !! — كانت من القوة بحيث أغلقت عليها مسارب الفكر .

وكانت عبارة ابنها لها فى الصباح تؤرقها وتهد كيانها ، تستفحل حتى تصبح دويا ضخما يطن بإزعاج فى أذنيها ، وأحست أن هذه العبارة كموجة عاتية من اليأس القوى المدمر ، تحملها معها إلى هاوية من النسيان والجمود والألم .

كانت الأم مثل قطعة الاسفنج ، تدهمها الذكريات كأنها الماء فيثقل وزنها ولا تستطيع الحركة ، وإذا صُفى منها الماء أصبحت خفيفة وأمكن لريح الحاضر أن تحملها بسهولة .

استقر بها الطواف فى حجرة النوم ، وقفت تتفحصها بعين دامعة ، فتحت الدولاب ، تقلب ملابسه بشغف ، كطفل ملك

فجأة صندوقا من الهدايا فرح يعبث بها سعيدا حبورا .

أمسكت الأم قطعة قماش بالية بعناية ، كأنها تخشى على ذراتها أن تطير كتطاير ذرات مومياء أثرية قديمة .

مررتها على خدها برفق وحنان . وذهنها المكدود ينفض عنه ضباب السنين .. ياه الكرب جورجت لسه عايش !!

كان أيامها طرازا سائدا ، وسعره غال لكن زوجها لم يكن يعز عليها شيئا . تألقت نفسها وأحست بالزهو .. تخيلت نفسها وهى ترتديه عصر أحد أيام الصيف فى هذا المكان .. وكان أبو حسين فى انتظارها ليذهبا إلى فرح أختها ، وساعة أن رآها .. الكرب يهفهف على جسمها ويبرز مفاتنه ، لم يملك نفسه من الصفير إعجابا .. ثم أخذها بين أحضانه .

جلست على السرير تتعرفه ، كأنها لم تنم عليه عمرا طويلا .. أين كان مكانك أيها السرير ؟ .. كنت فى نفس المكان إن لم تخن ذاكرتى ، ثم أطرقت تجهد الفكر .. لأ ياربى .. كان هنا بجوار الباب ..

كانت ليلة دخلتها والدنيا مشرقة بآلاف المصابيح ، وفى أعماقها تمتزج ألوان الزهور . دخلت هذه الغرفة وهى بنت صغيرة ، وقفت خجلى فى انتظار عريسها . ولم يطل وقوفها . فقد أقبل أبو حسين بعد أن ودع المعازيم . كان يومها شابا

صغيرا قويا ، يكسبه شاربه القصير ملاحة ورجولة ، وعندما دخل الغرفة إزداد اضطرابها ، واحتارت ماذا تفعل .. تشيل الأشياء وتضعها مكانها ، تغلق الشباك وهو مغلق ، وظلت في حيرتها إلى أن ناداها زوجها ، خجلت ووقفت على استحياء شديد .. تتوه عيناها في لمعان أرضية الغرفة ، ولاتقوى على رفع ناظريها إليه .. فذهب إليها وطوقها بعطف وحب لم تألفهما ، وطبع على شفتيها أول قبلة في حياتها ، كان طعمها كالشهد .

ومد يده يطفىء المصباح ، فتاح لها الظلام فرصة تاه فيها حياؤها واستسلم جسدها ، وتخدرت حواسها ، وذهبت سريعا إلى عالم من النشوة واللذة والسعادة.ربتت بيدها على السرير .

إنه الآن يشخلل كالشخشيخة لأى حركة من جسدها الواهن .

أين شباكه الأسود اللامع ؟!

أين قبابه النحاسية الصفراء المتلألئة كأنها ضحكات مجسدة تشهد على هنائها وتحرس سعادتها .

دنت من مكان مصباح الكيروسين فوجدت بدلا منه زر النور ، أخذت تعبث به كأنها تسعيد لذتها وسعادتها أيام كانت شابة .

نقرت بأصابعها على الحائط ، كأنها تنفض عنه ذكريات

الأيام الخوالى ، وسقطت مع نقراتها رقائق من البياض ، أخذت تتأمل ألوانها فى استغراق عظيم .. ياه اللون الطرابيشى لسه عايش .

كان هذا اللون « طراز تلك الأيام » ، وكانت النقشة فيه باللون البنى فى حجم الكف ، يومها قبل الافطار أبو حسين داخل شايل كنافة وقطايف ..
ـــ ايه دا كله يا أبو حسين ؟
ـــ رزق العيال خليهم ياكلوا .

وهذا هو اللون البرتقالى .. ضيقت حدقتيها تستوثق من اللون ، وقطبت جبينها تعتصر أفكارها .. نسيت ياوليه بعد العشرة الطويلة .. ياعيبك يأم حسين .. آه افتكرت ، كانت فاطمة بنتى مولودة ، والأولاد يلعبون ويزيطون فى البيت .
مازالت دوشتهم تطن فى دماغها .
الأولاد يتكلمون فى نفس واحد :
ـــ والنبى شوية حمص .
فترش عليهم الفول السودانى والحمص والملبس ، فيصيح الأولاد :
ـــ شمعالاتك برجالاتك .

وسرعان ماكبرت البنت .. كانت قاعدة قدامى فى الصالة يوم زواجها ، وجهها مثل القمر ، كنا فى أول الليل والنسمة

هادئة ، تنعش النفس ، وتضفى على ذكريات زواجها لذة وانشراحا .

البيت كله نور ، زغاريد النسوان تلعلع وتسمع الناس فى آخر الشارع .
ويومها المعازيم ضحكوا عليها ورقصوها ، الله يقطعهم ، يالله كان يوما حلوا تحزمت ورقصت والملاعين يصفقون ويضحكون ..
والله تزوجت يافاطمة وانت من يومين كنت تلعبين فى البيت قدامى تجرين وتنطين وتزيطين ، وقال عاملة أم الغولة .

والمزغودة تخيف أخاها حسين .
ـــ ها أكلك منين .. أنا أم الغولة .
والولد يموت فى جلده ويصرخ :
ـــ ياماما .. الحقى الغولة حتاكلنى .
ويسرع فى الاختفاء تحت الكنبة والبنت فى أثره :
ـــ ها .. حقرقش عظمك .

مالت الأم على السرير ، وحدقت فى السقف كأنه مرآه تحتفظ بما يقع تحتها من أحداث .

تذكرت جلستها الحزينة الساكته هذه يوم دخل عليها أبو حسين واجما ، فسألته فى لهفة :
ـــ خير كفى الله الشر .

استمر الرجل في وجومه ، واختفت اشراقته ، فأرجحتها الظنون ، ولم تهدأ حتى علمت أنه أحيل إلى المعاش ، فصاحت بقلب موجوع :
— طولة العمر لك ياأبو حسين .

وأخذت تخفف عنه ، وإن أحست في أعماقها فجأة بزحف السنين . ولاتدرى لماذا تراءى لها شبح الموت يرفرف من بعيد ، واستمدت من حزنها قوة تواسى بها زوجها وإن كانت هى فى حاجة إلى مواساة .

وجاء اليوم الذى عملت له ألف حساب ، دهمها كصاعقة انتزعت من نفسها أسباب الفرح الإنساني وطبعها بطابع حزين ، لايجدى فيه تقليل أو تهوين من شأن ماحدث .

وهى لاتنسى هذا اليوم أبدا ..
يوم دخلت هذه الحجرة وحدها بعد عمر طويل ، كانت مقهورة ، لم تذق شيئا طول النهار ، قلبها محروق ، ومهما شط بها الخيال فلم تكن تصدق أن يأتى هذا اليوم الذى تدخل فيه هذه الحجرة وحدها .

بل إنها ظلت عدة أيام ترفض فى عناد تصديق ماحدث . وكان يخيل إليها صوته يأتى من الداخل :

— فين شايك أبو نعناع ياأم حسين .

وأبدا لم تفكر أنها قد تصبح أرملة ، وإذا ماعن لهـــا هذا الخاطر طردته بسرعة مستعيذة بالله من الشيطان الرجيم

وإنها الآن لاتدرى كيف سلمت نفسها المقهورة وصبرت على وجيعتها .

وأخذت تستهين بكلمات حسين لها هذا الصباح :

ـــ لمى العفش يانينه .. أنا نازل أجيب عربيه .

قال ألِم العفش قال .. ياسلام عليك ياسى حسين .. كيف أترك جيران العمر من أجل سيادتك ؟ من فضلك بطل زن على دماغى ..

نروح يا ماما شقة جديدة تسعنا بعد زواجى ونوفر فى المصروف. لأ ياسيـــدى .. تزوجت رح مع عروستك . أنا ناقصة ،بنت طالعة من البيضة تستت علىَّ ..

نوفر فى المصروف ، ياحسرة أنا لا أريد منك شيئا ، فأقلها لقمة تكفينى ، وآخرتها يقول لى شقة كلها شمس وهواء ، وبعيده عن دوشة الحى الغجرى .. وحين سمعت صوت احتكاك عجلات عربة كارو بالأسفلت ، ودت لو تصيح : ياناس عشنا طوال عمرنا هنا .. ماذا جرى لنا ... ؟!



صلاة البقال



صلاة البقال

كان عمال البقالة الكبيرة التي يملكها الحاج لطفى أبو السعادات يعتبرون يوم الجمعة من الأيام السعيدة ، وليس ذلك لأنهم يقضون اليوم فى عطلة ، فالعطلات هنا حسب « التساهيل » ، ولكن لأنهم يصيبون قسطا من الراحة ساعة صلاة الجمعة .

ولم يكن أحد منهم يتصور أن يحرم فى أى يوم جمعة من هذه الساعه .

فقبل الصلاة بساعة على الأقل يبدأ العمال يستعدون لقضاء راحتهم الأسبوعية ، ويستريحون قليلا من عناء العمل اليومى الذى لايتوقف لحظة من السابعة صباحا حتى الواحدة بعد منتصف الليل .

ومع ذلك فهذا هو مايبدو أمام الناس . أما ماخفى فهو ساعة — أحيانا — تمتد إلى ماشاء الله بعد انتصاف الليل .

وتلك الساعه يقضونها فى غسيل بلاط المحل ، وتلميع واجهاته الزجاجية ، وغسل ألواح الرخام . ثم يتولى الشاطر منهم رص علب المربى وقطع الصابون فى أشكال هرمية جميلة .

ومنذ الساعات الأولى من صباح يوم الجمعة ، تصاب أجسادهم بالفتور ، يعملون فى كسل . ويتعجلون اقتراب موعد الصلاة كى يتهيأوا للوضوء .
ولولا نشاط الحاج لطفى ويقظته لشمر العمال أكمامهم . ورفعوا سراويلهم ، وكفوا عن العمل وذهبوا يغتسلون قبل الآوان .

وفى هذه الجمعة ، دأب الحاج لطفى كعادته « ينحرش » العمال ، واقتربت الساعة من الحادية عشرة ، ولم يبق على الآذان إلا ساعة والحاج لطفى لم يهدأ له نشاط ، ومما زاد من دهشة العمال أن البيع لم يخف فى هذه الساعة كما تعودوا ، لذلك لم يتكلم أحد فى انتظار الفرج .

ألهبت حركة البيع التى لم تخمد نشاط العمال . وسرقت منهم الوقت دون أن يحتجوا ، وفى الحقيقة حاول بعضهم أن يحتج ، ولكنه كان يصطدم بنظرات الحاج لطفى النارية من خلف « الكيس » الرابض وراءه فى ركن المحل .

كان الحاج لطفى يقطع (البون) ويعد النقود وقد دهش لهذا الزحام غير المتوقع فى هذه الساعة التى تسبق الصلاة ، بل وغير المتوقع فى أشد الأيام ازدحاما .. كيوم سوق الثلاثاء حين يحضر الفلاحون من الريف لبيع منتجاتهم ، أو ساعة

الصباح أيام المدارس ، حين يقبل الطلبة على شراء سندويتشات المربى والحلوى والبيض .

ولكن الحاج لطفى لم يسأل نفسه كثيرا عن سر هذا الازدحام ... وماذا يعنيه.. ؟

لم يطق أحد العمال الخبثاء صبرا ، الزبائن تستطيع الانتظار ساعة ريثما نلتقط أنفاسنا ، والدنيا لن يحدث لها شيء لو انتظروا قليلا ، وادعى هذا العامل أن النشاط الزائد قد ركبه وأمسك بطانة ، وأخذ « يطوق » واجهة المحل ، ثم التقط بروازا أخذ في تلميعه بعناية شديدة ، ونظراته لاتغادر الحاج ، هم العامل بتعليق البراوز المكتوب فيه (الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) والحاج لايرفع ناظريه إليه ، ضرب بيده علبة سردين فوقعت على الأرض محدثة ضوضاء ، ولم تفت الحركة الحاج ، فصوب للآية القرآنية نظرة فاهمة ، وللعامل نظرة (طيب طول بالك) .

سرت بين العمال ضحكات خافتة ، والحاج عنهم لاه .. يجلس على كرسيه محدودب الظهر ، ركبتاه تلتصقان بدرج النقود ، ذراعاه تحيطان بمكنة « البون » .. فلا يستطيع أحد مهما كان الزحام شديدا أن يغفله لحظة ، كرشه الصغير البارز يلتصق بمقدم الدرج .. نظرات عينيه تنتقل كالبرق بين الأوراق المالية والأرقام التى تكتبها الآله على « البون » .

حاجباه الأشيبتان نابتتان كالأشواك ، صلعته ملساء ، بيضاء ، يحيط بها قوس من الشيب يكسبه وقارا زائفا ، بدلته آن الآوان لأن تستعمل فى « تطويق » الأبواب الزجاجية .

الساعة تقترب من الحادية عشر والنصف ، وتسللت التسبيحات الأولى التى تسبق الآذان من مئذنة مسجد قريب ، غمغم العمال فيما يشبه الهمس أولا ، ثم بصوت مسموع بعد ذلك :

— الله ... لا إله إلا الله ...

ولم يجد الحاج بدا من المشاركة بالاستغفار ، ثم أردف ويده لم تكف لحظة عن عد الأوراق المالية :

— غنى

اقترب عامل أشيب ، صاحب عيال ، مسموح له بالصلاة فى الأيام الأخرى ، على ألا يغيب عن خمس دقائق فى كل صلاة ، أما بقية العمال وهم حوالى عشرة ، تتراوح أعمارهم بين الثامنة عشر والسابعة والخمسين ، فالحاج يعتبر صلاتهم فى الأيام الأخرى نوعا من الضحك على ذقنه ، ومضيعة للوقت لايسمح بها ، ثم أنه فى حالة تضييق الخناق كان يفتى أن الصلاة يمكن تأديتها دون إضاعة وقت المحل .. فالصبح مثلا يؤدى قبل الحضور إلى العمل ، والظهر يمكن تأديته ساعة الغداء ، والعشاء بعد عودتهم إلى بيوتهم .

أما العصر والمغرب فيمكن التصرف فيهما . وهو على أية حال ليس مسئولا عن ذلك .

وعندما اقترب منه الأشيب فى هذا اليوم مستئذنا فى الصلاة ، لم يشأ اغضابه ولم يشأ إطلاقه ، فاستمهله قليلا ريثما يخف الزحام ، ولم يبال باحتجاج الرجل ، وانصرف إلى نقوده .

أُذن للصلاة .. فوجفت القلوب لحظة .. وأيقن العمال أن فرصتهم قد ضاعت .

سأل عامل فى غفلة من الحاج زبونا عن سر هذا الزحام الذى لم ينقطع رغم الصلاة (غير مسموح للعمال بالحديث مع الزبائن إلا فى حدود العمل ، خوفا من حدوث مساومات دون علم الحاج) .

أجاب الزبون فى عجب :

— انتوا نايمين .. النهارده مباراة هامة فى كرة القدم .

قاربت خطبة الجمعة نهايتها وأوشكت الصلاة أن تبدأ ..

اكتشف أحدهم فجأة أن الحاج غير موجود .

كان الحاج لطفى أبو السعادات بعد أن اطمأن إلى سير العمل فى المحل ، وأنه لن يتوقف لحظة ، قد أومأ إلى عامل مقرب إليه ، فأجلسه مكانه ، وهرول مسرعا . ليلحق فرض ربه .

كراكيب



كراكيب

أمي لكي تحتفظ بملاءة سرير نظيفة ، جديدة ، تضع فوقها أخرى أقل جدة ، وفوق الأخيرة جلبابا قديما — بعد أن تفتقه — لحمايتها .

وحتى لاتتسخ بياضات المخدات تلفها بقطع قديمة من القماش ، وتضع فوقها « فوط » انتهى أوان استعمالها . كل ذلك لأنها تعتقد — ولست أدرى من أين أتت بهذا الاعتقاد — اعتقادا جازما أن رأسى يحمل بين طيات شعره بطريقة ما أتربة وغبار الأرض كلها . وأن هذه الأتربة من نوع قادر على النفاذ خلال الأغطية .

وطبعا يتعذر على النوم لتكوم هذه الأشياء تحت رأسى وجنبى . وفى النهاية أفقد صبرى ، فأقذف بها وأنا أعلم أنى لن أسلم من لسانها فى الصباح . ولاتخلصنى إلا لهجة أبى الساخرة الضاحكة :

— ياشيخة بطلى كركبة .

وعبثا أحاول اقناعها أنها بهذه « الكركبة » لاتغسل بياضة مخدة واحدة وملاءة سرير واحدة وإنما تغسل البياضة والملاءة وملحقاتهما ، وبذلك تتعب نفسها من حيث أرادت الراحة .

تنظر إلى فى ريبة ، ويعود إليها اعتقادها الغريب أننى أعاشر الشياطين ، وأن كلامى هذا فيه أثر من تلك المعاشرة ، ولذلك فهو لن ينطلى عليها .

وعندما تمسح البلاط ، يعلن حظر التجول من حجرة إلى أخرى ، وتعتبر دور المياه من الأماكن المحرمة ، وآه لو كانت السماء ممطرة والأحذية محملة بالوحل . لاتعترف بالمطر والوحل اللذين لا ذنب لى فيهما ، ويعود إليها اعتقادها ، أنه لولا « شيطنتى » لاتخذت طريقا نظيفا وسرت فيه . وأنى تعمدت هذا لأفسد نظافة المنزل ، وأنه لو كان عندى نظر لانتعلت حذاءاً قديما — من مستودع الكراكيب طبعا — وأنى لا أقدر تعب والدى وشقاءه ولا أحافظ على حذائى . ورغم أن الكلمة فى صالح والدى فقد كان يرد :
— ياستى أمالكيش صالح ...

وليس معنى هذ التوبيخ أنى أخذت تصريحا بالمرور . فأمام العتبة خيشة قديمة أمسح فيها حذائى . وقبل أن أخطو خطوة واحدة ، ينبغى خلع حذائى وتنظيفه ببطانة وراء الباب ، وآه لو رأتنى أقف بالشراب على الأرض . ولايوجد سوى طريقة واحدة لكى أنجو من غضبها ، وهى أن أقف فى الهواء بينما أنظف الحذاء .

وحين تخرج أمي يسارع أبي للتنقيب في البيت ، فيخرج زجاجات فارغة كثيرة ، وعلب قديمة مختلفة الأحجام ، علا الصدأ بعضها ، وأحذية وشباشب لا لزوم لها ، وملابس مهلهلة كثيرة . يجمع كل ذلك ويأمرنى أن أخرج وأخفيه فى آخر الدنيا . وعندما تعود أمى ، سرعان ماتكشف فعلتنا ، فتوبخنى ، وتسمعنى ماقالته لى مراراً : الملابس والأحذية القديمة تستبدل بأطباق من بائع الصينى ، الذى يمر بعربته ، بدلا من التى تكسرت — لأن أيدينا سائبة ولا ضابط لها — أما الزجاجات والعلب الفارغه فكثيرا ما يأتى عليها حين من الوقت لاتجد أوعية تضع فيها ماتريد . وتقطب جبينها ، معنفة ، أنه لولاى الذى أعلم خفايا البيت ماتوصل أبى إلى شىء . وتنظر إلى شقيقاتى بخيبة أمل ، فلن يكن نساء يعتد بهن ، وأنها فقدت السيطرة على تربيتهن كما تشتهى ، وإلا لحافظن على البيت أثناء غيابها ، وتقسم برحمة أمها ، ودين نبيها العزيز أنها لن تتركنا بعد ذلك وحدنا أبدا .



عامل الانـارة



عامل الانارة

سأل رئيس المجلس القروى مرة واحدة ، وبعدها أفتى أنه حديث السن والعمل ولا يصلح لكل هذه المسائل . لجأ الى كتبة المجلس . قالوا .. وعادوا .. فأدرك ألا فائدة ترجى من ورائهم ، كتب للمحافظ ، ومر الوقت وخسر ثمن التمغة ، ترك قريته والتمس مقابلة سكرتير عام المحافظة ، وأثناء رحلته لم ينس زجاجتى الأنسولين والفيتامين فى جيب الصديرى الأيمن ، وفى الأيسر علبة المحقن وزجاجة صغيرة من الكحول ، وفى المحافظة .. استشهدوا بالمنشورات المالية ، واستعانوا عليه باللوائح الإدارية ، وخرج دون أن يفهم شيئا . قام برحلة أخرى إلى حسابات مجلس المدينة ، متأبطا علبتيه ، صرفوه .. ووعدوه بقرب انصافه .. وأرسلوا خلفه منشورا بعكس ماقالوا ، يريدهم أن يصرفوا له أجر الجمعة التى يعملها مضطرا ، فاكتفوا بدلا من ذلك بصرف المنشورات .

وقال الغريب الزناتى لنفسه : ترى .. لو كنت « أفندى » مثلهم .. ألن يجدوا لى بين كلمات الورق مخرجا ...

قال منشور مطبوع بالحبر الزفر : لاتوجد ميزانية لصرف العطلات ، وقال منشور مطبوع بالبالوظة الزرقاء الباهتة : على

المجالس أن تتصرف بمعرفتها .

وقال منشور مطبوع بالكربون : من حق عمال الإنارة يوم عطلة . تنح الغريب الزناتي بصلعته البيضاء السمراء ، وانفرجت شفتاه عن نصف ضحكة ، أو الأرجح نصف فتحة وقال وهو لايريد أن يقول : أعطوني الأجازة ، ففسر له موظف داهية : من حقك أجازه .. هذا شيء وأن تأخذ أجازه هذا شيء آخر . ووقع رئيس المجلس القروى ورقة بأن حالة العمل لاتسمح .

الغريب الزناتي يعمل وحده على مكنة إنارة الوحدة المجمعة ، اذا غاب أظلمت البلدة .

ويقال أن المريض بالسكر لاينبغي له أن يحزن ، وعدم صرف العطلات جعله يحرق دخانا أكثر ، والغريب الزناتي بسكره ، وسجائره ،وأحزانه ، مع هدير المكنة حتى الواحدة صباحا ، وفي النهار تراه بجسده النحيل ، وعينيه الحمراوين ، صامتا .. ومنكبا على موقد يحاول إصلاحه .. ولاعة تالفة يبعث فيها الحياة سكين يشحذه ، في الأمر غيّة ، وفي الأمر قروش يستعين بها على المعيشة ، وما من أحد يعمل أمامه شيئا إلا ويلتقطه .

الأوراق فقط لم تطاوعه ، والكواكب فسقط هي التى لاتكف عن الدوران ، وأنا في حاجة الى عطلة لأرتاح ،

والراحة تتعبنى ، أقصد عدم العمل يتعبنى ،مرضى يحب الحركة ، عندما أعرق أكون سعيدا ، أعطونى اذن ثمن الجمعة ، وأنا غريب فى هذه القرية ، قريتى لم أزرها من مدة وأهلى هناك .

منذ أن حضرت إلى هنا شممت رائحة منفرة ، هذه قرية تكره الغريب ، قلت لنفسى لن أرتاح فيها .. وقد صدقت ، أهلها يريدون أكلى ، لو تعطلت المكنة لحظة نهشوا لحمى ، وتجمهروا فى الصباح أمام باب رئيس القرية ، صدتنى شتائمهم وألسنتهم الطويلة عن المرور فى بعض الشوارع ، قسما بالله سأقتل من يتعرض لى ، بلد لا تنفع فيها المروءة . اصرفوا لى أجرى ، أنا وحيد فى العمل .. ماذا أعمل لو تعطل خط ، أما تصبرون ، البلد مظلمة ، منك لله ياغريب يازناتى ، ليقذف بكم جميعا الله الى جهنم ، أنا وحدى أعالج المكنة وأصبر عليها ، ماضركم لو تعطلتم يوما ، أنا لاأتقاضى أجرا عن ذلك — البند لايسمح — لعن الله البنود ، هل يفهم أطفالى معنى أن البند لايسمح .

نزل مصر يسعى فأخذوه « تحرى ».ليس معه أوراق تثبت شخصيته . نسى بطاقته ، ياناس أنا معروف فى بلدنا .. اسألوا أى واحد عن الغريب . هذا ليس شأننا .. هل معك أوراق .

ملعون هذا الورق الذى يتحكم فى الانسان ، فى الصباح قاموا بالتحريات اللازمة وأخلوا سبيله .

لاعلاج للنسيان الا بعمل أكثر من بطاقة ... واحدة فى بنطلون الشغل وواحدة فى الجلباب .. ، علم بطريق الصدفة أن تكرار البطاقة يوقعه فى مشكلات لاحد لها ، فوقع فى حيرة أكثر .

طلب من قريب له مسافر إلى القاهرة أن يقرأ له الفاتحة فى الحسين ، ليجبر الله خاطره ، نسى الرجل ولم يتذكر الا أثناء عودته ، فأبى ضميره الا أن يدعو له أثناء مرور قطاره أمام ضريح أحد أولياء الريف المغمورين .

جاء منشور مطبوع على الآلة الكاتبة بحروف واضحة يقول : عمال الإنارة الراغبون فى عطلتهم الأسبوعية يحصلون عليها .

جاء الفرج أخيرا سأعمل ليلة لأهل الله ، وينبغى أن أوفى النذر وأزور الحسين ، نظرة يأهل البيت ، ولكن الرجل لم يقرأ لى الفاتحة عنده ، كيف أهتدى إلى صاحب ضريح لم يسمع به أحد ، وهو نفسه لايعرفه . دع هذا عنك الآن وفكر فى زيارة بلدك ، « ياه ... مصير الحى يتلاقى » ، ستكون ضيفا عزيزا عليهم ، ولأول مرة سأذهب الى البيت مبكرا ، وأنام حتى تلسعنى حرارة الشمس ، وأستريح قليلا من لذعات الناموس ، وسأجد وقتا كافيا لإصلاح ماأريد .

جاءت ليلته ، فأمسى إلى منزله خفيفا لايحس بنفسه ، غير مصدق ، عيون الفلاحين ترمقة كأن بينهم وبينه ثأرا ، وهو يلعنهم فى سره ، ويكاد يضحك متشفيا . اليوم ينتقم منهم دون أن يستطيعوا حياله شيئا . غرقت القرية فى الظلام ، وعاد عصر الهباب ، عاد عصر الفتيلة ، التى يطفئها الهواء أثناء الانتقال من دار الى آخر . وتحددت تحركات الفلاحين الليلية . وحشر الصبية أنفسهم فى المضاجع ، والصيف يحب النوم متأخرا ، ولكن عيون الآباء الزاجرة وشتائمهم النابعة من نفاد الصبر وقلة الحيلة ، لاتبقيان أمامهم فرصة للهو أو عبث .

وتليفزيون المجمعة صامت ، لايبث مسرحياته ، ولا يبعث ضحكاته ، وحُرم الفلاحون من البنات ذوات العيون الجميلة ، والشعور المسبسبة .. ياوعدى ياولاد .

ولم يبق ساهرا سوى حلقة هنا .. وأخرى هناك .. وصدور تسميت فى اعتصار الغاب ، وجمرات تتقد .. وتخبو .. والغريب الزناتى يتقلب على الجنبين .. زفر وغادر الفراش .. وارب الباب .. راعه الهدؤ الشامل ، وتساءل : ألن ينتهى الليل .. ، وواتته رغبة أن يمشى ولا يرى وجهه لأحد . فى مثل هذه اللحظة من كل ليلة كان وجهه يشع بالابتسام . قبل أن يوقف المكنة بخمس دقائق ، يرسل إشارة تنبيه ، يطفىء النور ثم يوقده ثانية .

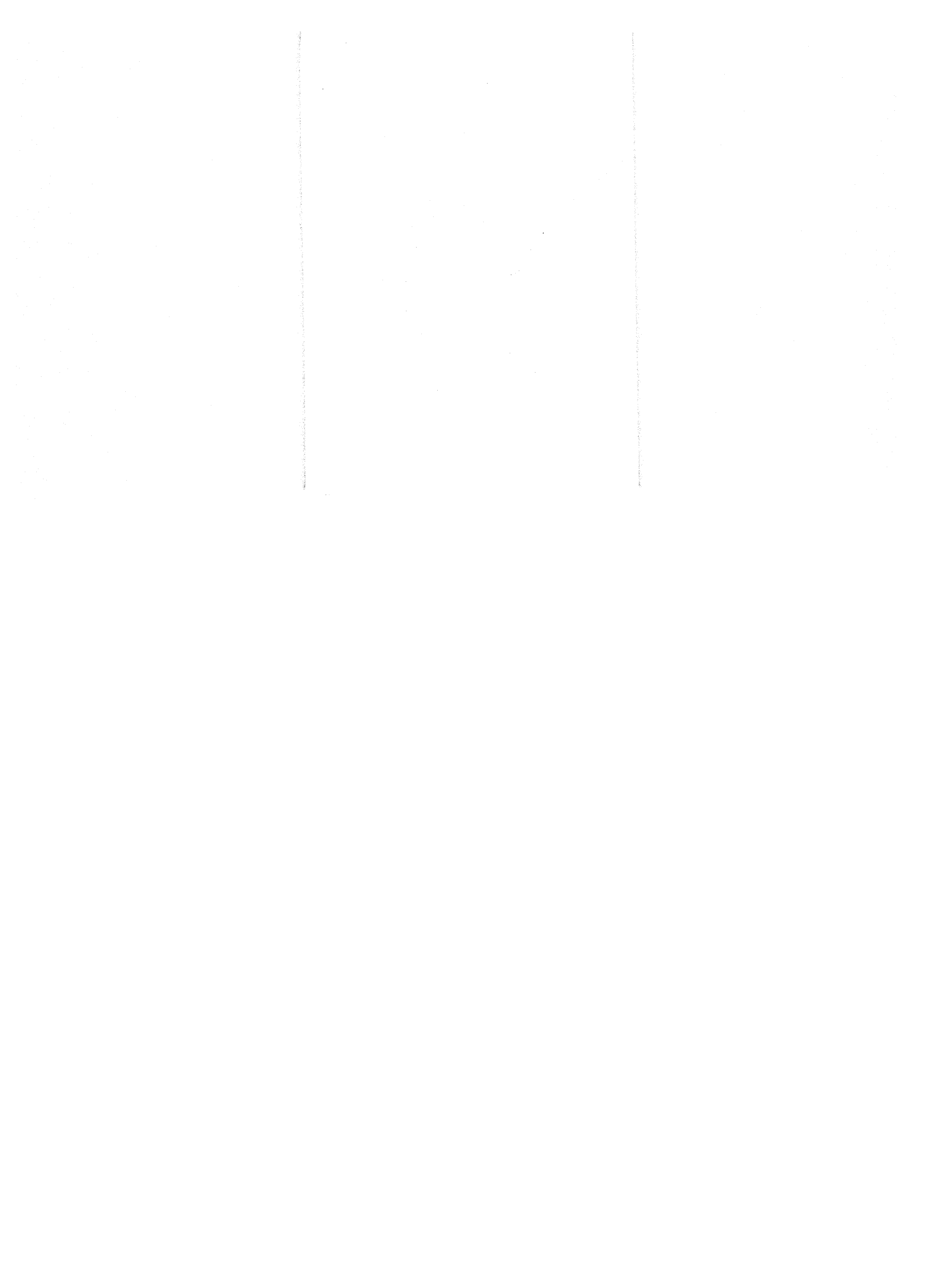
وكثيرا ماتصادف أن يعطى الإشارة ومسرحية فى التليفزيون لم تنته بعد ، يهرع إليه الناس يرجونه ، فيحتج أن الوقود لن يكفى ، وأنه ملزم بالإنارة كذا ساعة ، فيردون عليه :
ـــ ياسيدى .. بكره نور متأخر شويه .

اختلج بدنه ، أحسن أنه لايريد أن يفتح فمه بكلام أبدا .

غطى أذنية بطاقية صوفية ، وضع عباءة قديمة على كتفيه ، نظر فى ساعته ، وفتح الباب ، وخرج .



منية أبو العجايب



منية أبو العجايب

مجلس محلى منية أبو العجايب مكون من خمسة موظفين وثلاثة بغال ، حسبة لايتوه فيها العداد . ومنية أبو العجايب لايسمع عنها أحد ، كأنها صفر على شمال العالم ، ولكنها فجأة ذات صباح ملعون أصبحت على يمينه ، وبفضل نشاط النعسان اهتز سلكها التليفونى منبها المركز أنها مازالت تعيش ، وأن بها حادثة تستحق الاهتمام ، حادثة بلغ من أهميتها تأكيد النعسان ضرورة حضور مفتش بيطرى المحافظة ، ورفض فى حزم الاكتفاء بتبليغ طبيب بيطرى المركز ، فالأمر فى رأيه أخطر مما ظن الجميع ، وزيادة فى الحيطة ، اتصل هو شخصيا بالمحافظة ورفض الاعتماد على إفادة المركز ، آه .. الشغل شغل ، انقلب البغل بسائقه ، ومالت العربة على جنبها .. الأنباء الأولية التى وصلته أن العربة لم يصبها عطب يذكر والبغل مزنوق تحت عجلتها يئن ويتألم .. والسائق مجروح .. نزف كثيرا ..

مالك وهذا العمل ياعبد الدايم ، البغل عهدة يأسيادنا ، من منا يتحمل ثمنه ، تظل تسدد فيه طول عمرك ، بدلا من علاوة منتظرة ، يخصم منك قسط شهرى حتى توفى حق البغل ، اللعنة على الجميع ، هذا ما أتانا من العمل الميرى : أقسم أنه لو

حدث شيء من هذا فلن أتحمل مليما ، وهل كنت سائقه ، أنت الرأس الكبير هنا ، أنت أقدم موظف ، أنت الرئيس وأنت الباشكاتب ، لايعملون شيئا دون أمـــرك ، دون امضائك ، من الذى جعلنى رئيسا ، ياله من يوم أغبر ، ملعون أبو الأقدمية ، مالنا وهذه المسئوليات ، ورغم هذا ينقصون من قدرنا ، ولا يعترفون بأهميتنا ، لكن صبرا فليتحملها هؤلاء الشياطين . لايسمعون نصيحتى . يابنى سُق بالعقل ، خذ بالك من المطبات . يسيرون كالعميان ، من الذى أمره بالخروج ، وبرودة الصباح تسرى . رش المياة يكون وقت الظهيرة .. حين الحر .. وحين يثور التراب ، هذا لايعفيك من المسئولية ياعبد الدايم . كيف خرج دون علمك . هل أشرف بنفسى على كل شيء، ناقص أكنس مكـان البغـال ، المحققـون لايعترفـون بهـذا الكلام ..

أنباء أخرى وصلت النعسان ، حالة البغل تزداد خطورة والنعسان لايصدق مايقال له . لابد أن يتأكد بنفسه على الطبيعة ، فكل شيء أثناء نقله يقل عدا الكلام فهو يزيد .

البغل يرسل شخيرا يقطع القلوب ، وقلب النعسان يثب من الهلع ، والسائق النازف أمره سهل ، توجد مستشفى قريبة من المركز ، أما البغل المسكين فلا مستشفى له فى المحافظة كلها .

ماذا لو حدث المحظور .. ونفق البغل .. ماذا تعمل ياعبد الدايم ؟ فأل الله ولا فألك ياشيخ ، بإذن الله سليمه ، لماذا لم يصل طبيب بيطرى المركز . واين مفتش بيطرى المحافظة ، وهات يالف فى يد التليفون .

خُيل إليه أن كثرة اللف التى قام بها تكفى لكى ترد عليه أى بلد يطلبها ولو فى آخر الدنيا .. ولكن المركز لايرد وهو يعرف حجته . ياسيدى عرفنا وبلغنا المسئولين . قسما بالله أنتم لاتعرفون شيئا . البغل سينفق وسيخرب بيتى وأنتم تمزحون . خمس عيال وأمهم يشحذون من بعدك ياعبد الدايم . أقلها كان يستنى عليه البغل لما ينجح أكبرهم فى الثانوية العامة ..

المصيبة تأتى دون توقع ، ولا ترحم .

أصوات .. فى شبح اقتراح تحوم كأنما دون قصد من أذنى الأستاذ النعسان بضرورة رفع العربة فورا عن البغل ، وتخليصه من زنقته ، والنعسان يفكر .. ويدبر . لابد من حضور الطبيبين ، أو أضعف الايمان حضور أحدهما ، ماذا لو رُفعت العربة وانفجر بركان من الدماء كانت العربة بثقلها تمنعه من التدفق ، من يتحمل المسئولية ، البغل حيوان أخرس . شخصت عيناه فى إعياء إلى لاشىء، كأنما تستنجدان بقوة غير مرئية ، المسئولية ياإخواننا ، أنتم لاتفقهون شيئا ، وعندما اشتد لغط المارة الذين استوقفتهم الحادثة بضرورة عمل شىء ، صاح

فيهم النعسان بصوت خائر :

ـــ ماهو سليم أهه .. ولا هو يعنى من ورق الفسفس .

وكادت ربكة الناس الذين لايظهرون إلا فى الزيطة أن تنسيه واجبا هاما لابد من عمله ، سأل نفسه وأعاد السؤال متخذا وضع المحقق . فى أغلب الأحوال سيجر التحقيق الى ظروف معيشة البغل ، ماالذى أدى الى وقوعه ، ربما صحته ليست على مايرام وأجبروه على العمل . هل يأخذ البغل تغذيته المقررة له ، لابد من مراجعة السجلات وتسديدها بالتمام ، ينبغى أن يكون كل شيء جاهزاً ، لاداعى لترك فلقة حافة ينفذ منها المحققون ، والسؤال يقود الى السؤال ، أسرع الى الكلاف ، سأله بقسوة وراجع السجلات . طالعته دهشة الكلاف فنهره دون أن يترك له فرصة للاستفسار ، ياغبى كله لمصلحتك .

علم من اجابات الرجل الذى يهمهم بها دون اقتناع أن المقرر للبغال فى الميزانية قد نفد ، وأنه لابد من تعزيز البند حتى يتيسر لهم شراء عليقة جديدة ، وماذا تفعل أيها الغبى .

ـــ باصرف .. طول عمرنا على كده ..

المحققون لايعرفون التصرف ، لن يصدقوا انك تصرفت فى عليقة على الحساب ، سيقولون انك أنقصت المقرر من التغذية

وأدى ذلك إلى ضعف البغل ، وسقوطه ، ياللمصيبة ، شكك فى محله ياعبد الدايم ، لست أدرى ماذا كانوا يفعلون لو لم يكن رجل مثلى معهم ، الذنب ذنب المحافظة ، كل سنة نحدد لهم فى الميزانية الكمية التى تتناولها البغال ، ويتولون هم انقاصها . وفى آخر السنة يتولون أيضا تعزيزها ، لماذا وجع الدماغ ياناس ، الرجل الذى يجلس فى مكتبه هناك كيف يعرف كمية العليقة اللازمة لبغل .. أو حتى لجحش صغير ، يظنون تقليل المبلغ المقترح شطارة .

وحتى يتم التعزيز .. وحتى نقوم بالمراسلات .. والأخذ .. والرد .. هل ننتظر حتى تنفق البغال .

طبعا لازم تتصرف ، ولكن الرسميات لاتعرف هذا التصرف ، عندك فلوس فى البند اصرف ، لا يوجد لا تصرف ، كلام جميل ، ولكن اذا نفقت البغال لن يتكلموا بهذه الطريقة ، لماذا لم تعمل خط سير وتحضر بنفسك ، لماذا لم تعدل الميزانية فى وقتها ، لماذا ، ولماذا هذه عندهم سهلة وكثيرة ، وعندما كنا نذهب اليهم كانوا ينظرون إلينا فى اشمئناط ، وندوخ وراءهم دون طائل كأننا نطلب زيادة الاعتماد لأبنائنا ، ولكنهم لايفهمون أن أبناءنا ليسوا عهدة ، وممن نطلب لهم زيادة الاعتماد ، وعندما يحتاجون الى ملابس ونجور على اعتماد

الأغذية ، ألا يمكننا تعزيز بند التغذية ، وماذا نفعل اذا مرضوا ولم نجد فى المرتب بنداً للصرف على الأدويـــة ، مصيبـــة الانسان أنه ليس عهدة أحد . انتفض فجأة كمن هاجمه ثور هائج :

ـــ ليه ماقلتليش أن العليقة انتهت .
ـــ سيادتك كنت مشغول بعد مارجعت من الاجازة ...
ـــ حاجة زى دى لازم تفكرنى وتخوتنى بها ..

لاجدوى من الكلام الآن ، بسرعة البرق خط رسالة الى المحافظة للمطالبة بتعزيز بند تغذية البغال ، أرخها بتاريخ قديم ، وحفظ صورة بالملف فى تاريخه وأخفى أصل الجواب . بعد الزيطة يصرف فيه .

سمع صوت سيارة فى الخارج ، فنهض تلقائيا ، يصلح من وضع سترة طويلة ذات ياقة عريضة ، ورفع حمالة بنطلونه الذى يصر على ألا تقل فتحة قدمه عن مسطرة كاملة ، كيف يضيقه مثل الأولاد الصغار ، الحشمة واجبة ، وهو قد تخطا الخمسين بقليل وبانت قورته عريضة لاتصالها بصلعة حديثة ، وكثر شعره الأبيض فى عارضيه وشاربه الذى نما أسفل فتحتـــى أنفه فى خطين خفيفين . حبك ربطة الكرافته التى لم يفكها أبدا من سنوات طويلة .

الفقى لما يسعد ، يسعد مرة واحدة . كنا نريد طبيبا ،

حضر اثنان . لادعى لإضاعة الوقت ، القهوة واجبة . هو يريد أن ينتهى .. وهما يشربان القهوة فى تؤدة . بعد أن اقتربت روحه من حلقه قال أحدهما :

— بينا ياجماعة ..

دماء قانية ، اختلطت بالطين . فزع النعسان لمرآى الدماء . جفل الطبيبان قليلا .. ولكن برودة المهنة عاودتهما واطمئن ثلاثتهم عند ماتبينوا أن الدماء لم تنزف من البغل .

— خدوش بسيطة .. خير إن شاء الله .

تنهد النعسان بارتياح كمن يتنهد بعد حلم مزعج فسره له أحدهم تفسيرا أرضاه ، حانت منه التفاتة للرجل المسجى فى الدماء والطين ، لايصدر عنه صوت . وبحماس يشوبه الفتور حاول إلقاء اللوم على الموجودين لعدم عنايتهم به ، ولكن الفتور غلبه فى النهاية ، وأسلم أمره لله عندما أبلغه أحدهم أن الرجل قد مات .



سوق الحدادين

رفع سبابته مهددا :

ــ جنس الكلب ده مايعتبش المسبك .

أجبتة بنظرات تؤمن على كلامه ، فاسترسل وقد هدأ روعه :

ــ الناس دى عايزه تبلعنا .. ياعالم مديون .. حرام عليكوا . مافيش تقوى .. أف ..

وكاد أن يستمر لولا تقلص عضلات وجهه التى أنبأت باشتداد علته عليه ، فانحنى نصف انحناءه كأنه يخشى أن يقفز « الفتاق » من جانب بطنه وجلس . قال بصوت لين :

ــ ماوصكش ياحسنى .. عايز أعمل العملية وأنا مرتاح .. الولد بشير تقطع رجله من هنا .. واذا حد تانى اكلم أطرده بره .. عندك تفويض منى .. فاهم ..

وبعد أن تضاحك قليلا ، أشعل سيجارته ، وذهب مأألم بعينيه من غضب ، قال وكأنه يستملح دعابة :

ــ قال أحدد لهم وقت للعمل .. هىء .. موظفين ولا ايه ...

ولما كان لابد أن أقول شيئا للتخفيف عنه ، فقد تمتمت بصوت ضعيف :

ــ سيادتك عيان حاسب على نفسك .

ــ أنت واخد بالك .. مافيش رحمة عند العالم دى . أوقف الشغل علشان خاطرهم .. الطلبات كتير والعمال بتدلع .

وأحسست بنفسى ضئيلا ، أكاد أنكمش ، عندما هب بهيكله الضخم للانصراف . ذهب ماجثم فوق صدرى من هم .. وأنا أراه يستوى فوق مقعد عربته الصغيرة الأنيقة ، وبان وجهه المنتفخ الأحمر ، وراء زجاجها بشاربه الكث المنفوش ، وهطل عرق بين طيات وجهه ورقبته اللحيمة . وكادت تختفى عيناه الضيقتان خلف زجاج نظارته السميك اضطربت لإشارة من إصبعه ، وبعثت حنجرته المبطنة بالشحم دفعات هوائية متقطعة ، واستطعت أن ألتقط منه :

ــ آجى أراجع معاك دفاتر الحسابات ياحسنى .

ــ استرح حضرتك واطمئن .

سارت العربة فى سوق الحدادين الملتوى كالثعبان . فالسائر فى شارع العباسى أو شارع عبد القادر لايلحظ أن فى كل من الشارعين فتحة ضيقة تؤدى إلى سوق الحدادين ، بشكله الأغبر ، وكأن دودة ضخمة من ذات الفقرات خرجت لتوها من محلول قذر ، وتمرغت فى الشارع فخلفت فقراتها

على جانبيه محلات للحدادة والسباكة .

استغرقنى تصريف العمل ، وسبحت فى مخيلتى جمرات النار وهى تتقد مرسلة شرارا غاضبا .

مللت نفخ الكور الدائب الرتيب ، وأحاطت بى كالسياج ، أسياخ الحديد المحمى ، وطرقات لاتنقطع من المطارق .

وبينما يتصاعد أزيز وشرار لحام المعادن ، جاءنى صوت بشير .

— بتقول ايه .. زعق شويه .

ودون أن أصغى لما يقول ، أخذت أتأمل وجهه الشاحب لطخه سواد سوق الحدادين ، وتدلت شعيرات أسفل ذقنه تشبه شعيرات شوشة كوز من الذرة ، واحمرت عيناه .

ارتعشت أرنبة أنفه الدقيق ، ومديده لإصلاح وضع شال أبيض يلفه حول رأسه ، وبعد لأى .. كان مضطرا أن يزعق ليوضح مايريد :

— ياسى حسنى

— يانعم

— والله ياشيخ مالك على يمين أنا ماأعرف ان سى الحاج عيان . وضعف صوته وهو يقترب منى :

ـــ والله ماعرفت أن الحاج عيان الا دولقت ..

ثم استمر :

ـــ ولو كنت أعرف قبل كده ماكنتش سيبت المحل الا لما يرجع .. وحتى من غير أجر خالص ..

حاولت أن أرد عليه ، فصدرت عنى أصوات ، رغم ابهامها ، رأيت آثارها واضحة على صفحة وجهه .



سكرتيرة ليست حسناء



سكرتيرة ليست حسناء

تستمر فى الدق على الآلة الكاتبة . ويتحول جزء من وعيها عن متابعة ماتكتبه ، وكلما انتهت من كتابة ملف رموا لها آخر ، وكلما انتهت من طبع مذكرة جاءتها أخرى .. ولم تعد كسابق عهدها تخرج الصفحة اخراجا يرضى ذوقها ، الهوامش بحساب ، والعناوين منسقة ، وترشق النقط والعلامات ، وتحدث نفسها :

— ياسلام عليكى يابنت ياثناء .. والنبى انت لقطة فى البلد دى !

لم يعد هناك وقت لتنظر خلفها .. فإذا سألها السيد وكيل البنك عن موضوع ان كانت كتبته أم لا ،تنتصب واقفه ، تزغلل عيناها .. ويحمر وجهها خجلا ، هيئتها تقول أنها لاتعرف ، وبعد أن ينصرف الوكيل ، تقول ثناء فى شبه اعتذار لمن حولها :

— والله ماعنت باعرف أنا باكتب ايه ..

وتظل نفسها تائهة حتى بعد مغادرة البنك ، لا اهتمام بجمال ولا عناية بهندام ..

ولكنها اليوم تدرك كل شيء ، تعى بمس حولها جيدا ، ثريا وعزمى .. زميلاها فى السكرتارية ، ترى همسات أعينهما ، والأوراق أمامها .. تعرف موضوعاتها . ولاتظن أن العمل قد قل ، الحقيقة أنه زاد ، وهى مع ذلك منشرحة القلب ، تجلس جلسة من يحب عمله ، ظهرها منتصب ، وجهها ضاحك ، قبل أن تنتظم أصابعها فى الدق على الحروف ، تبخترت قليلا .. كأنها تجرب مفاتيح معزف .. وعندما انتظمت النغمة وأصبح لها إيقاع معين ، انطلقت أناملها برشاقة فوق الحروف .

ألم تسمع الوكيل فى حجرته منذ هنيهة يقول أنها فعلا فى حاجة إلى راحة ..

انتشت عيناها ، وأيقنت أخيرا أنها ستكافأ على عملها ، فهى ليست فى كسل زميلتها ثريا ، وهى لاترتاح لعمل بنات العلاقات العامة « الدلوعة » .. كل سنة لما يكتبوا مذكرة . ولن تعود جريمتها أنها « حمار شغل » بل سيكون هذا سببا لإعطائها راحة .

وعندما سمعت كلمة « راحة » لم تصدق نفسها : فاليوم هو الثلاثاء ، منتصف الأسبوع .. عز الشغل ، ربما راحة بقية النهار ، وحتى هذا غير ممكن فمازلنا فى أول النهار ، لو قال هذه الكلمة ساعة الخروج لكان معنى ذلك عدم حضورها بعد

الظهر ..

ولكن ثريا ــ التى خلق منها الوكيل غريمة لها ــ أكدت لها أنها سمعت أيضا كلمة « راحة » .

ولأملها فى الراحة ضاعفت من سرعتها ، وربما كان هناك دافع خفى غير فرحتها بالراحة جعلها تضاعف العمل ، لعلها تخشى زجر الوكيل فيما بعد أن العمل تعطل لأنه دللها وأعطاها أجازة .

ومع أن لها الحق فى إجازات فهم لايسمحون لها بها بحجة أن حاجة العمل لاتسمح ، ونفس حاجة العمل تسمح بالنسبة لثريا .

وثناء تعرف جيدا ماالذى يسمح بالإجازات والراحة ، فجسدها ليس مثيرا ، صدرها لايستفز أحدا ، قوامها يأخذ درجة مقبول « بالعافية » وقد يقول معلق ــ ربما اتهمه الناس أنه عديم الإحساس ــ اذا مانظر إلى وجهها أنها تعمدت تربية أنفها ، ولكن الطبيعة خففت من وقع هذا الأنف ، فأسفله شفتان مكتنزتان ناضرتان ، وأعلاه عينان عسليتان ، جميلتان ، تتحركان فى سرعة ولماحية ، وتضفيان عليها خفة دم وجاذبية تليق بفتاة فى الثانية والعشرين من عمرها .

وأنيّ لمثل هذا الوكيل أن يحس خفة الدم هذه ، بصلعته

الحمراء ، وهيئته ربع الكتلة ، وملامح وجهه وجسده الدائرية ، والتائهة فى غمار ملابسه .. بدلته الشركسكين البيضاء تهفهف على كرشه بردا وسلاما .

من المصادفات الغريبة أن ثناء تظهر أمام الوكيل كثيرا عن قرب بحكم عملها الذى يستدعى ذلك . بينما ثريا بعيدة نسبيا عنه ، ولهذا أهمية كبرى .. فكل من يرى ثناء على البعد لايشك فى جمالها ، ويعلن أسفه عندما يقترب منها ، حيث تفقد وقعها الجميل فى النفس .

وثناء تعلم ذلك ، وتلعن اليوم الذى اقتربت فيه من الوكيل . أنا الذى اجلبت هذا لنفسى ، لأنى نشطة وشغالة .

ومنذ أسبوع ، غضب الوكيل منها ، فبعض الحروف لاتظهر على الورق ، وأحيانا تكون متآكلة .

وظنت ثناء أن السبب قد يرجع إلى إرهاقها أو شدة سرعتها . فخففت من سرعتها قليلا ، ولا حظت هى بنفسها تآكل الحروف ، وتكرر نفس الشىء بعد عودتها من راحتها الأسبوعية ، ترى هل هى فى حاجة لأجازة طويلة ...

ربما كان ذلك صحيحا .. لكن من غير المعقول أن تهرب منها الحروف فى أول دقيقة لها على الآلة الكاتبة بعد عودتها من الراحة الأسبوعية .

وفجأة اكتشفت أن العيب فى الآلة نفسها ، وآثرت التريث حتى تتيقن ، ثم تجرأت وأخبرت الوكيل الذى لايقبل منها الكلام بسهولة .

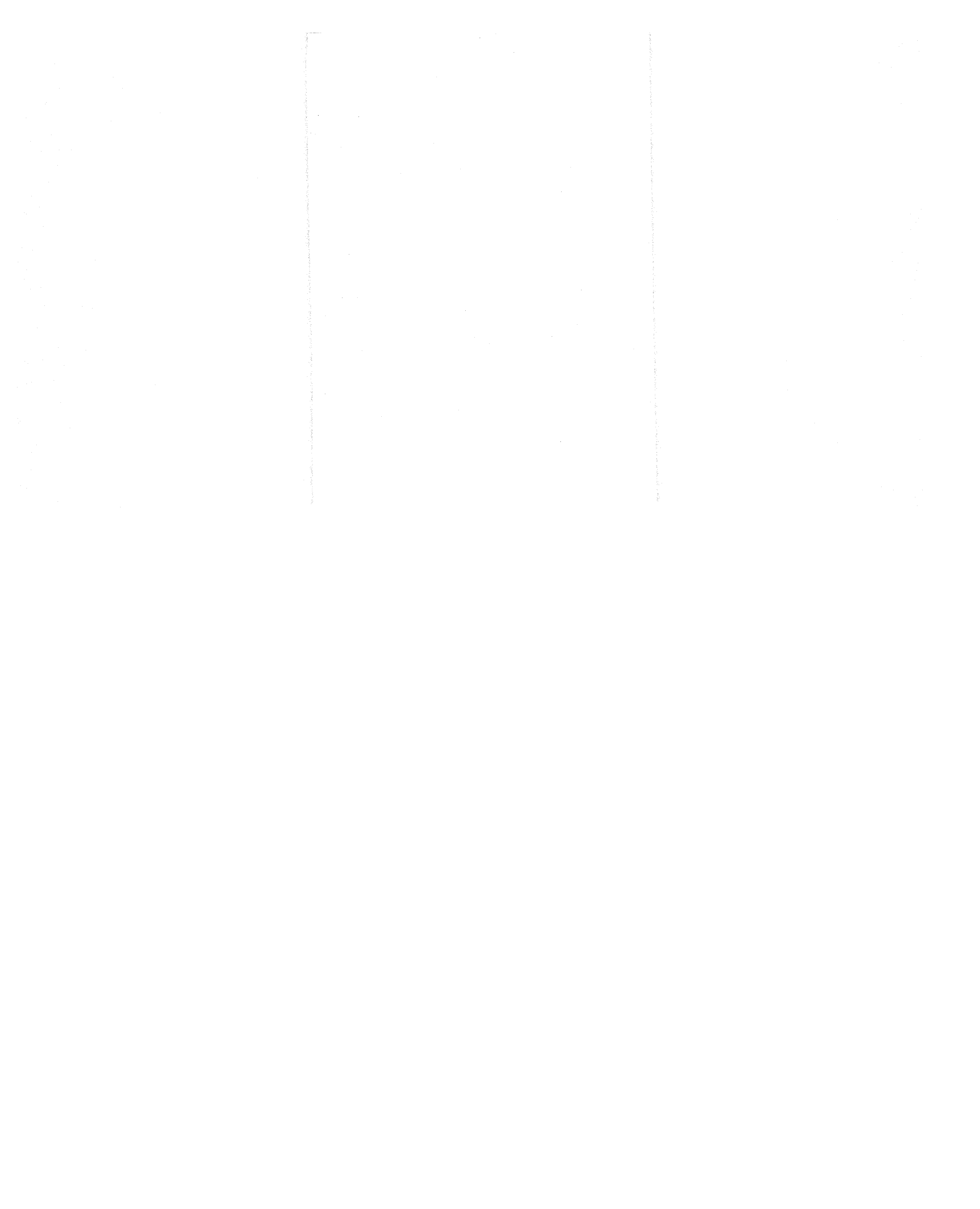
وإزاء اصرارها ، استدعى عامل صيانة قام بفحص المكنة ، فكها .. ولوى بعض أذرع الحروف ، واستعدل أذرع أخرى ، والمكنة لم ينصلح لها حال . وبينه وبين الوكيل قرر أن المكنة لاعيب فيها ، واستفسر منه عن حالة العمل عليها . وعندما علم بكثرته أعلن أن المكنة فى حاجة إلى راحة عدة أيام تستعيد بعدها قدرتها السابقة .

ورفع الوكيل شعيرات حاجبيه دهشا ، وأعاد العامل تأكيده أن المكنة شأنها شأن أى جهاز يعمل .. عربة ، مروحة ، لابد من الراحة ، والا فسدت .

وعندما قاربت الساعة الثانية ، دخل الوكيل حجرة السكرتارية ، فتعلقت به نظرات ثناء القلقة المتوترة طول النهار ، وارتمت بكيانها على شفتيه فى انتظار ماسيجود به ، ولم يطل بها الانتظار . ارتخت عضلات وجهه :

ــ يابنتى حرام عليكى ، خلى عندك رحمة ، ارحمى المكنة اللى فى ايدك .. الحديد استجار .

ثم أمر باستبدال مكنتها ، بمكنة ثريا المنعمة فى كتابة ردود البريد ، ريثما ترتاح مكنتها بضعة أيام .



المفتشون



المفتشون

فى ظهيرة يوم من نهاية يونيو ، كركر الماء المتدفق من قلة ساقعة ، فى جوف الخولى مصطفى المحتمى من الحر فى ظل شجرة وارفة . أفسدت صيحة رأس صغيرة مندسة بين فروع توتة متعته ، وضع القلة بسرعة وجرى الى الحقل ، وفى أثره صنيعته الصغير .

وعلا صوت الخولى يحث الأيدى الصغيرة على العمل ، ويأمر الملاحظين الذين يتابعونهم أن يدققوا فى البحث خشية أن تفلت لطعة هنا أو هناك بين شجيرات القطن الخضراء . وسرعان مانشع ماء القلة ، عرقا غزيرا ، مسحه بكم جلبابه الواسع المتسخ ، ورفع حافة قبعته القماشية المتدلية الحواف عن عينيه ليتحقق من شخصية القادم .

فى هذا الوقت من العام تنشق الأرض ، وتقذف السماء بأفواج من المفاجئين ، كأن سكان العالم كله قد تحولوا إلى مفتشين ، تساءل مصطفى : ماضر لو تحول هؤلاء المفتشون الى جامعين للطع ، أما هكذا فأمرهم عجب ، يأتى مفتش فيرفع صوته ، ويتصرف بكبر شديد ، يطلب الدفتر من الخولى فى أنفة ، وفى لحظة تهدأ ثورته ويوقع فى الدفتر أن الحال على

مايرام ، ثم يسير محاذرا أن يتلوث حذاؤه اللامع من الأرض المروية ، فيتطوع مصطفى ليرشده الى طريق جاف . ويحمد الله أن المفتش لا يعرف أصول عمله ، فلم ير عدد الأنفار فى الدفتر ، فلو رأى .. ولوعد .. لاكتشف نفرا غائبا أرسله لاحضار طعام الغداء من القرية القريبة ، ولا تمر دقائق حتى يأتى مفتش آخر ويوقع أن الحالة سيئة جدا ، والعمل لايبشر بالخير ، ياألطاف الله .. طوال اليوم أصناف من المفتشين .. حاملو شمسيات تقيهم أشعة الشمس التى تشقق الوجوه كما تتشقق التربة ، لابسو مناظير سوداء لاتتيح للانسان أن يرى عيونهم ، وأصحاب قمصان شفافة تظهر من تحتها فانلات لاتغطى أكتافهم .

وأمل مصطفى بعد الموسم أن يشترى مثلها ، ولكنه لم يستقر على رأى فيما يختص بالقميص الشفاف ، عربات فارهة تقف على الطريق ، المسفلت ، وعربات جيب ودوكار ، أخصائيون فى الشخط والنطر والتوقيع . وكلهم — كأنما باتفاق بينهم — يشتمون مصطفى ويخصمون عدة أيام من المشرف الزراعى ، تختلف ألوانهم وأشكالهم وأمزجتهم وأقنعة وجوههم ولكن قلما يتخلون عن هذين الشيئين . والمشرف الزراعى جاد عبد الوهاب من طالعه النكد ، أن مقر جمعيته التعاونية يقع على الطريق . فهو « ملطشة » لهؤلاء السادة ، يسجلون حضورهم عنده ، ولا داعى لتعب النفس والتوغل فى المناطق

الداخلية ، حيث لايجيد أى واحد منهم ركوب حمار .

... ومن فرط كثرتهم كان جاد لايستبعد أن يقوم مفتشو الباص بالتوقيع عنده .

ولم يكد المحافظ يصدر قرارا بمساهمة جميع الموظفين فى الريف فى أعمال المقاومة ، حتى نشطوا جميعا ومروا على الحقول ، وظهرت المواهب التفتيشية الكامنة .

وحدث أن أحدهم لسذاجته لم يقدر مواهبه الحقيقية وأراد أن يساهم فى جمع اللطع ، فاعتبره آخرون غير موهوب ، وأنه ليس أخصائيا فى توقيع الدفاتر — بالفطرة — مثلهم ، فللواحد منهم امضاء يضاهى امضاء أعظم مدير بنك فى العالم. سأل جاد الخولى مصطفى عن الحال اليوم ، فأجاب :

— رضا .

— متوسط اللطعة كام فى الفدان .

— ستين يابيه .

ضحك المشرف الزراعى وقال :

— واد يامصطفى .. انت فاكرنى مفتش ..

فضحك الخولى بدوره :

— اللطعة السنة دى شديدة يابيه .. وجهات بتوصل ربعمية .

انقبضت أسارير المشرف وتمتم يحدث نفسه : ربنا يستر .

رفع صوته :

واد يامصطفى .. شد حيلك .. اوعى تون .. لم يعن بسماع اجابته ، وقام يواصل مروره سيرا على الأقدام بينما الشمس فى عنفوانها ، والهواء يكاد يشتعل ، وأشجار الكافور السامقة لاحيلة لها ، والدودة هربت من الحرارة القاتلة ، الى جوف الأرض ، خلال الشقوق الكثيرة .

وعندما يرطب الجو فى المساء تصعد اللعينة الى الأوراق الخضراء تلتهما فى شراهة ، معوضة جوع النهار بطوله ، ألا يمكن العمل فى المساء ، ضوء القمر لايكفى ، ثم هى بضعة أيام ويختفى ، ألا يمكن الإنارة بالكلوبات ، ضحك للخاطر .. ماذا ستفعل الوزارة ، تحضر رشاشات المبيد أم الكلوبات وهل يمكن فعلا انارة هذه الحقول ، لم يبق من سبيل إلا جمع اللطع قبل الفقس.حانت منه التفاتة الى حقول القطن المترامية ، ولطع الأطفال متناثرة ، كل عشرين طفل يلتفون حول أنفسهم بحركتهم الدائبة البطيئة ، تخفيهم الشجيرات فلا تظهر إلا قبعاتهم المصنوعة من القماش ، متدلية الحواف . فى العام الماضى جاءت سليمة ولم ينله إلا خصم ثلاثة أيام اذا قيست بعقوبات زملائه فكأنه حصل على منحة يستحق أن يحسد عليها ، ولكنه فى نهاية الموسم حصل على مكافأة،صحيح لاتوازى واحدا على مئة من تعبه الحقيقى ، بيد أنها أفادته ، حقق أمله وخطب بنت عمه التى يحبها منذ الطفولة ، وأجل

دخلته الى نهاية موسم هذا العام . ترى .. هل يتحقق مبتغاه ، يأخذ القرشين ويكمل عليهم ويؤسس غرفتين ، ولكن .. هل يوافق عمى المتطلع إلى نسب أحسن ، مامن مناسبة الا ويعلن عن وفود خطاب لابنته ، شهادات عالية ، ومال ومراكز ، ولا يخفى عجبه من بنته التى أحبت « بتاع دوده » .

تطلع الى الصغار تحت أشعة شمس حارقة ، أكسبت وجوههم لون الفول السودانى المحموش .

هل يفلت المعيار منهم هذا العام .. ؟ ! كيف نحصل على مزيد من الصغار ، والولد الذى ذهب إلى المدرسة ، يستنكف جمع اللطع .

ضرب بقدميه فى الطريق المترب ، والهواء الملعون لايهب ليلطف الجو ، ولكن لكى يثير التراب الذى يلتصق بالعرق المتصبب من جبهته ومقدم صدره وقفاه وخلف أذنيه ، ولعن جاد فى غيظ تلك الفراشة الخبيثة التى لايحلو لها وضع لطعة البيض الا فى ظهر ورقة النبات ، حتى ننحنى دائما ، وتقصم ظهورنا . ليس من أجل العم وحده يشقى الانسان ، أصول يسموه دبلوم الدودة بدلا من دبلوم الزراعة ، ليس التعب قاصرا على العود النحيف مثلى ، فالمهندس الزراعى مجاهد أبو المعاطى مهندس الجمعية فحل ويفصل ثلاثة مثلى ، وينسف ذكرا من البط وملحقاته من الفت وخلافه فى الغدوة الواحدة ،

علاوة على نتش رصة عيش كاملة ، ثم يتجشأ فكأنه لم يأكل شيئا ، هذه الطاقة الجبارة تراها مهدودة الحيل مقطوعة النفس آخر النهار من اللف على الدودة ، يشرف وحده على أكثر من عشر آلاف فدان ، أقصى أحلامه أن يمتلك « موتوسيكلا » يمر به على الأنفار والخولية لكهربتهم ، ورغم تعبه تراه يضحك ، ويصرح دون مواربة أنه لم يقرب زوجته منذ بدأ العمل فى الدودة .. ثم يؤكد تأكيدا قاطعا أن العدو اللدود للدودة هو الزوجات وأنهم لو كلفوا زوجة مشرف أومهندس زراعى باختراع مبيد للقضاء على الدودة فسوف تتوصل لذلك حتما .

انعطف جاد ناحية حقول فيها فقس ، وصبية دون الخامسة عشر يحملون رشاشات تقصم الظهور ، يرشون النبات بالمبيد . لاحظ عملهم ، النشاط الظاهرى الذى اعتراهم لمقدمه أخذ يتلاشى ، الثالثة بعد الظهر وقد رجعوا من الغداء ، وأحسن تزجية للوقت بعد الغداء هى النوم وليس حمل الرشاشات .

اقترب ناحية عربة موتور . صبى يمسك الباشبورى ويرش النبات فى نصف دائرة ويده مرتفعة عن الزرع ، لطعة واحدة تفلت بأجيالها المتعاقبة معناها ثلاثة ملايين دودة !!

ــ يخرب بيتك وطى إيدك .

صادف مروره وجود رشاشات عاطلة ، استعدادات شهور كاملة قبل موسم القطن تنهار عند أول يوم من الصدام مع الدودة .

ترى هل يستعدون حقا ، أم تراهم لايعبأون ، وماذا سيضيرهم هو الذى ستطير مكافأته ، أمعقول أن يعجز الإنسان عن محاربة عدو يتحرك أمامه ، ان العلماء حاربوا جراثيم لاترى الا بألف عين ، هل يصعب عليهم اختراع شيء يبيد نهائيا مانراه يتحرك أمامنا ، والنهار يدور دورته الأبدية بدأ الوخم يعم جميع الشغالين ، متى تتحول جيوش المفتشين الى حاملى رشاشات ، رأى بعض الطلبة بدلا من مقاومة الدودة ، يقاومون بعضهم بعضا بالقفشات والضحكات .

ياإلهى .. لماذا خُلقت هذه الدودة ؟ !

ألكى يستمر الانسان فى صراع أبدى مع قوى غيبية ، العباقرة وحدهم هم الذين يجدون اجابات لمثل هذه الأسئلة أما نحن فنصاب بالجنون .

هل تحرمنى هذه الدودة الحقيرة من المكافأة المنتظرة . هل تتسبب فى حرمانى من الزواج ، وتجعل عمى .. رجل المعاش الذى لامستقبل له يشمت فى ، أين استعداداتك ياوزارة الزراعة .. ؟! . مجرد وقفة للراحة ، وينسى حامل الرشاشة

مكانه الذى انتهى عنده فتفلت شجرة أو اثنتان وتطير المكافأة . ومن يدرى ربما يكتفون مثلما حدث فى بعض السنين بخطابات شكر من الوزير ، لاداعى للاعتماد على المكافأة لسد ركن فى التأثيث ، لماذا لاتفعل مثل كثير من المشرفين .. الجمعيات التعاونية كأنها ملك لهم . يتاجرون فى كل شىء ، ويلعبون على المكشوف ، وكثير منهم أثرى ، ولا يخلو بيت الواحد منهم من تليفزيون وثلاجة ، وأنت ، لأنك خائب ، عاجز عن شراء كنبة استانبولى .

أعضاء الجمعية التى أعمل بها يسرقون عينى عينك ، لايوزعون أنصبة الناس الحقيقة من المبيد ، لابد من وجودى كل ثانية وإذا سهت عيناى لحظة فعلى ما يخص حيازتى السلام ، الكُسب يتاجرون فيه ، ويخفونه ، ويقولون فى بجاحة : دى شغلة مش جايبة ثمنها .. احنا مابناخدش أجر ياأستاذ . أنت شاطر فى تحرير محاضر للفلاحين الذين لايحضرون وقت الرش فى أراضيهم ويضحكون فى سرائرهم .

ــ زمامك ثلاثة آلاف فدان .

حاول أن يغفو ربع ساعة .. أزعجه زعيق الفلاحين على استعمال الموتور نهض متثاقلا ..

ــ ياألطاف الله ...

لم يكد يمتطى حمارا حتى نادوه .

— عايزين عمال لاصلاح الرشاشات .
— حاضر .

ونزل من فوق الحمار
دماغي .. ياناس ...
يضحكون ، وكأن كل شي على مايرام .
هل اجعل جسدى مداسا لمن هب ودب ..

والفلاحون أنفسهم لايقدرون شيئا ، يريدوننا أن نعمل وحدنا ، لايساعدوننا فى شىء ، ويتكلون علينا كلية ، كأننا آلهة : هذا عملكم وتأخذون عليه أجرا ، وهى أرضكم ، تطعمون منها ، يهزون أكتافهم ولايبالون ، ناقص نرضع أطفالهم ، كأنهم كانوا ينتظرون هذه الفرصة من مئات السنين ، ما إن رأونا مغروزين فى أراضيهم حتى جروا مسروين ، وتركونا نشرب المقلب .

فاجأه مسئول كبير ، أدرك ذلك من هيئته ، وسأل :

— بترشوا ايه ؟
— دبتركس .
— ليه ؟
— الفقس هنا بدرى شويه !

هاج الرجل وماج :

ـــ التعليمات بتقول رشوا الأندرين ، خصم أسبوعين ..

وصمم الرجل ألا يسمع شيئا وبدا حكمه غير قابل للاستئناف . بعد هذه الحادثة ظن الخولى مصطفى أنه أصبح فى مأمن من جاد عبد الوهاب ، ويستطيع أن يأخذ نفسه ، ولكن هذا كان يقظا له ولم يتوان لحظة عن المرور .

وبينما كان جاد عبد الوهاب صامتا ، يبحلق فى مشاتل الأرز القريبة ، ويفكر فى طريقة ما يواجه بها عمه ، كانت تعليقات الخولى مصطفى تسرى مع تيار المياه الجارية : أنـه مغفل وحمار ، وسيظل طول عمره هكذا .



البقاء للأصلع



البقاء للأصلع

كانت تستيقظ من النجمة ، وتهرع إلى صالة الدار الباردة فى البكور ، تتلفع بما يقع فى طريقها .

وبعيون يثقلها النعاس ، وحواس مخدرة من أثر النوم ، تمسك بعامود حجرى ، تلف به داخل فجوة حجرية عميقة ، طاحنة الفول والكراث والبصل ، لعمل الطعمية .

وحين يصحو زوجها وولده من زوجته الأولى تشرع فى إعداد الفطور لهما .

ويسبق الشاب بالمفاتيح الى المحل فى سوق السمك ، تاركا أباه يجرع ماتبقى في زجاجته من خمر المساء .

ويظل الرجل مبحلقا فى السقف كأبله . أو متمددا فى استرخاء حتى تنفذ إلى أنفه رائحة الطعام الذى أعدته امرأته .. حلل القرع والبامية .

ويتصاعد بخار الجمبرى المسلوق ..

عندئذ يدرك عم بطاط — كما يدعوه زبائنه — أن ساعة العمل قد حانت ، فينهر امرأته لعدم إسراعها فى إرسال الحلل الى المحل .

ويخرج متوعدا اياها بالطرد . ويصب على رأسها ماتيسر من بذىء العبارات .

وفى المحل ينهر ابنه لتأخره فى عمل السلاطة .

ولايكاد الشاب يذيب « الكُسبة » فى قليل من الماء لتصبح طحينة حمراء . ويستعد لتقطيع الطماطم والفلفل ، حتى يطلب منه أبوه الإسراع لشراء المخلل .

بعد أن يطمئن عم بطاط الى سير العمل فى المحل . يذهب إلى المقهى المجاور وهو يبرطم متفتفا . يعدل من وضع طاقيته على صلعته الملساء ويتحسس كرشه الطافح إلى الأمام .

يرسل فى شراء زجاجة « روم » ويبعث صبيا الى امرأته ، يذكرها بوجبة آخر النهار من الطعمية .

وما أن تفرغ المرأة من إعدادها ، حتى تقوم بغسل ملابس الشغل .

بنطلونات صوفية ، وچاكتات كاكية ، علقت بها جميعا بقع الزيت ، قمصان وجلاليب وملابس داخلية لها ولزوجها وابنه ، وحماتها ، ولا تكاد تفيق حتى يدخل عليها صبى حاملا الخبز المكسر ، الفائض من الزبائن ، فتسرع إلى ارسال طلبات أهل الحارة ...

وتكمل على ماتجمعه من نقود ، وتشترى لوازم الغد ،

وتقوم باعداده الإعداد الأولى .

وتظل ساهرة فى انتظار المعلمين لتقديم العشاء لهما ويبقى عم بطاط ساهرا مع شلته ، يشربون ويلقون نكاتهم البذيئة ، ويصخبون ، وهى قائمة على خدمهتم .

فكرت فى العودة الى زوج أمها الذى رباها ، ولكنها وجدت ذلك نوعا من البله ، فهو حوذى حنطور لايملك البلاء .

وكانت تستطيع أن تتحمل الفقر ، ولكن رغبته فى العبث بجسدها ، والشرر المتصاعد من عينى أمها ، جعلا اقامتها مستحيلة .

كما أنه من العيب أن تترك بيت زوجها دون عذر مقبول .

عشرون عاما من « البهبند » ونفقت المرأة .

ولم يكد يمر « الأربعين » حتى كان عم بطاط يفكر فى احضار بنت بنوت أخرى .





غضبـانة



غضبـــانة

أعيت الأهل الحيل لمعرفة سبب الخصام بين المرأة وزوجها ، وعجزوا عن التوفيق بين الاثنين . الزوجة صامتة وكلما سألوها بكت ، فلـــم يستغربـــوا ذلك منها فهـــي من الولايا الغلابة . وعندما ألحوا ولزمت الصمت اعتبروا سكوتها دليل خطئها والا لتكلمت . والزوج لم يفتح فمه ، فقـالوا لحظة غضب لاتلبث أن تزول ، وعندما هدأ ولم يتفوه قالوا كبرياء الرجل . ولما رفض الفضفضة بأى كلام قالوا فى الأمر سر ، كدنا نظلم المرأة . وأطلقوا الشائعات . فمن مؤكد أنه يرافق أخرى ، ومن مقسم أنه يعلم منذ مدة بسهراته الماجنة ، وتضييعه لإيراده فى الشراب والقمار .

طال الأمر أكثر مما يقدر له عادة فى مثل هذه الأحوال ، فحامت بعض الهمسات حول الزوجة تتهمها بالفجور ، وإن كان بعض الظن إثم . وأكدوا أنه لولا ذلك لردها زوجها من زمن ، وأنه من حسن خصالة يرفض الكلام ، حتى يترك لها فرصة لعل الله يتوب عليها ، وحتى لايقطع عيشها مع غيره .

وذهب أهل الرأى فى العائلتين مذاهب شتى . ولما جددوا المحاولة وفشلوا فى الوئام ، التزموا الصمت . وإذا ماجاءت

سيرة الحكاية قطبوا جباههم وعبرت نظراتهم عن التفكير العميق والتأمل والدهشة .

والغريب أن الزوج نفسه لايعلم لماذا طال الخصام .. ؟!

يحق لها أن تتكلم لو كان ينقصها شيء من لوازم البيت ، ولكن الحمد لله مستورة وزيادة . هل قصرت فى حقها كامرأة ؟ . إنه معلم فى هذا الميدان ، وعمله فى المقهى جعله يحتك بأناس كثيرين ، ويعرف حيل كل منهم مع زوجته حتى تصل إلى حد الاستمتاع . ثم أنه دون حيل تكفيه فتوتة وبشهادتها هى .. ما من مرة .. إلا وكانت عيناها تنطقان بالرضا. ورغم حيائها كانت أعمالها تفضحها ، تبالغ فى الاهتمام به . وكثيرا مافلت لسانها وأثنت عليه .

اذن لماذا أطالت الخصام هذه المرة ؟ لقد ظن أول الأمر أنه لن يتعدى أسبوعا . مر الأسبوع فاعتقد أن فى الأمر « دلع » نسوان ، وأمهلها أسبوعا آخر . ومر كسابقه فأيقن أنه فهم لعبتها ، تريده أن يذهب على قدميه ويرجوها أن تعود . لكن هذا بعدها . هو الرجل يذهب ويرجوهـــا ، بنت من هى ؟ إنها راحت أو جاءت ، امرأته ، وخادمته وهو سيدهـــا ، هو الحاج سيد سلامة على سن ورمح ، صاحب مقهى الحريه ، يذهب من أجل حُرمة . ضحك من هذه الخواطر كثيرا وهو يفتل شاربه ، وجذب نفسا طويلا من الشيشة أخرجه دفعة واحدة ،

وأعقبه بحركة من فمه تعني أنه يبصق على النسوان جميعا .
اصطنع المرح وخف الى زبائنه يستمع إلى طلباتهم بنفسه .
ويتعجل العمال . ويطمئن إلى وصول الطلبات . ومع ذلك لم تغادر زوجته فكره .

انزوى فى ركن من المقهى وأومأ للعامل الذى يعرف مزاجه دون أن يتفوه ، فأحضر له شيشة عجمى ، تبعها بقهوة سادة بالعنبر وسنة أفيون . وغاب المعلم يبحث عن السبب .

لابد أنهم الحُساد . فنجاحه فى مقهاه أضر المقاهي الصغيرة في سوق اللبن ، أغلق معظمها ووقف أصحابها خلف أكشاك تقف على نواصي الشوارع ، ولا شك أن الدهاة منهم قد عملوا له عملا ، ذهبوا إلى نوع من الشيوخ يفهم فى الأدعية والأذكار ، فقرءوا بعضها ، وأطلقوا البخور ، وسلطوا عليه بعض الجان ، وها هى النتيجة ، خراب بيته المستعجل ، زوجته عشرة عمره ، وأم ابنه البكرى البالغ اثنى عشر عاما ، تهجره .

وثلاثة أطفال يصغرونه من يطعمهم ، وينظفهم ، ويصبر على أفعالهم ، لقد أوكل أمرهم إلى تفيدة الغسالة ، ولكنها لم تهتم بنظافتهم ؛ فأودعهم عند أخته .

ولكنها متزوجة وصاحبة عيال ، وزمانها تعبانة وان لم تظهر

له ذلك .

وهو ، من يعد له لقمته ، ويسوى فرشته . كثيرا ماهددها بالطلاق والزواج من أخرى بنت بنوت ، ولكنه الآن يحدث نفسه « لسه حنربى من جديد » فزوجته الست سعاد تعرف عاداته وطباعه ، وتلبى أقل إشارة منه ، وتفهمه دون أن يتكلم .

ولكن لماذا طال الخصام هذه المرة ..؟! ألأنهما تشاجرا . طوال حياتهما الزوجية على هذا الحال ، ولم يكف عن ضربها لأوهي سبب ، فالضرب يؤدب المرأة ، ويكسر عينها ، فهو معلم ويخشى أن تلعب بذيلها من ورائه ، فالنساء لاأمان لهن وهو مهما بالغ فى تدليلها — فى بعض الأحايين — يشعرها دائما أنها حُرمة وأنها أقل منه ولا ينبغى أن تفتح عينيها ، إما هذا وإلا ركبته .

ثم أن خصامها ليس بالشيء الجديد ، إن لها فى كل سنة أوقات « تتلصم » فيها على أى حاجة ، وتعمل غضبانة ، ولكنها لم تكن تطيل الغياب هكذا .

ألأنه ضربها هذه المرة أمام ابنها الأكبر ، لقد شتمها مرة أمامه فزوت نظراتها ، وانكسرت نفسها ، وجاءته خجلة ترجوه ألا يفعل ذلك أمام ولدها ، ولما لم يراع ذلك غضبت وزعقت فيه : « انت بطمع العيال فيَّه » ولكنه لم يقنع بذلك فالولد

رجل مثله ولابد أن يشب كأبيه وماضرَّ لو قلده كي يصبح رجلا لاتلعب به النساء ، ولكن المرأة لاتريد أن تفهم كيف سيصبح ابنها رجلا ، أولى بها أن تُسر لذلك .

وكانت الست سعاد من جانبها تبعث بالرسل ليأتوها بالخبر اليقين . فلما طمأنوها أن زوجها لم يفقد صبره ويلجأ الى امرأة أخرى هدأت ثائرتها قليلا ، وأرسلت من يأتيها بأخبار العيال . فلما علمت أنهم عند عمتهم استراحت قليلا .

وجاءتها أنباء سرتها .. زوجها لايعرف كيف يأكل ولا ماذا يلبس ، وأنه يقيم فى البيت تارة ، وعند أخته أخرى ، وأنه ينوى نقل العيال عند عمهم حيث المكان أرحب . وسرعان ماوجمت وتصعبت ، دمعت عيناها وتنهدت قائلة : « خليه يتعلم ـــ يجرب ويشوف » . وكانت حين يزعق تقول له :

ـــ نفسى تجوز واحدة غيرى علشان توريك المرار .

وتخيلت منظره وأحواله غير مستقرة .. المعلم سيد كله .. أوكما يدعونه فى المقهى« عرب الورد » زمانه ساهم . سمار وجهه فى حالات زعله يتحول إلى صدأ . وشنبه المفتول المرتفع . أما زالت يده تفتله فى اعتزاز أم ارتخت وارتخى معها الشنب . وجسده الممتلىء فى غير إسراف ، طبعا مكوم على

أى كرسى ، مبددا ملامح جسده .

وشعره المسترسل ، لابد عمته الفوضى وتركه مهملا تحت طاقيته . أنت سبب الخصام .

ما أن زعق متهما إياها بضياع « مسبحته » حتى انفجرت فيه ، ناعتة إياه أنه لايدرى من أمره شيئا ، عندئذ لطمها ، وكاد أن يلم عليها الجيران ، تحاملت على نفسها اتقاء الفضيحة : ولكن إهانتها أمام أطفالها ، وهم يصرخون ويولولون فى البيت ، عاجزين عن عمل شىء ، حز ذلك فى نفسها كثيرا ، وأحست كأن جسدها يرتخى . وخُيل إليها أنها تغور تحت الأرض ولا تدرى لماذا ظلت عاجزة عن النظر فى عيون أولادها . واعترتها رجفة عندما نظرت لابنها الأكبر واحمرت أذناها خجلا .

وبعد قليل وجد المعلم سيد « مسبحته » فى احدى طيات السجادة . ارتمى جسده على كرسى منبئا بضعفه ، ووشت نظراته باعتذاره ولكن أنىَّ له أن يخطب ودها صراحة ؟ ولما لم يفعل أقسمت أنها لن تمكث فى البيت لحظة واحدة ، وأسرعت تلم حاجياتها . ولم يتحرك الزوج ، واوما إلى أولادها فتشبثوا بها ، ولكن لم تأبه لهم ، كانت تظل شهورا طويلة تتحمل لعناته وشتائمه ، وحين كانت تمتد يده بالضرب ، فلم تكون تشكو .. وهل تترك بيتها وأولادها كل ساعة والثانية ،

وكان الرجل جيد الأريحة ، غير ممسك يده عن الإنفاق ، كان يسرى ذلك عنها قليلا .. لكن شيئا كوخز الإبرة كان يعمل فى أعماقها ، ويعتريها ضيق وتبرم شديدين ، وتحس نحو زوجها ببغض ، تستنكف معه أن تعاشره ، ودون أن تدرى تهمل نفسها .. شعرها الانسيابى الكستنائى تكومه بأى طريقة تحت أى منديل وتربط به رأسها ، بعد أن كانت تجد له ضفيرتين تلفهما حول « عصبتها » كتاج من الحسن الدافىء يحيط برأسها الصغير .وتترك وجهها على حالة .. عيناها الضيقتان ، لاتضع حولهما الكحل الذى كان يزيد اتساعهما ، أنفها الصغير اللطيف الناعم الملمس كعود من الريحان استهجنت أن تقربه من وجهه ، وشفتها السفلى الممتلئة ، كان الطلاء الأحمر فوقها يغرى الرائى أن يقضم منها قطعة . وصدرها لاترفعه ، تتركه يتهدل . وتتذكر عبارات الغزل التى كانت تقال لها وهى صبية ، فتشعر بألم جارح .

وتطيل النظر فى المرآة فتلمح شرود نظراتها ، وتحس أنها ستختنق.عندئذ تنتظر أى خطأ ، وتترك له المنزل سواء كان موجودا أم لا . وسرعان مايأتيه الرسل أن زوجته غضبانة .

وكانت العادة أن يسوق المعلم سيد سلامة « الثقل » بعض الوقت ، ويبدأ فى جس النبض ، ويتعرف إلى أرض المصالحة التى يمكنه ان يقف عليها .

وترفض الزوجة فى البداية ، ويعد أهلها ذلك نوعا من الدلال لاينهونها عنه تعزيزا لموقفهم فابنتهم غالية ولم يخلق من يهضم حقها .

ولا تمضى أيام حتى يُسمع كلام آخر « الست مالهاش إلا جوزها وعيالها » ، ويبدأ الكلام الجدى مع رسل الزوج . وحين يحضر لاصطحابها تثور مناقشات يبدى فيها الزوج حقه فى زوجته وضرورة تقويمها ثم تلين لهجته .. ويعترف بخطئه وأنه ليس له بركة إلا هى .

وتعود مبررة ذلك أنه من أجل أولادها ، وهى تعلم أن قوله اخر مرة .. وهذا لن يتكرر .. هو كلام فض مجالس .

وتم مايحدث كل مرة ، ولكن الزوجة لم تستجب ، متحدية رغبة أهلها دون أن تدرى كيف فلت منها الأمور . وكان المعلم سيد ، وقد مضى عليه ثلاثة شهور يعانى الوحدة ، وفى حاجة لمن يعتنى بأولادهما جاء على نفسه ، وعمل هو الكبير ، وذهب إليها يطلب منها العودة ، وأنهى الأمر مع أهلها ، ومع ذلك لم تعد . ذهب إليها ثانية ، وانفرد بها هذه المرة وأكد لها أنهما وقد كبرا عن ذى قبل فلن يعود إلى أفعاله السابقة ، وبانت لهجته أكثر صدقا . ولكن زوجته لم تزد عن الابتسام . ولزمت الصمت . وعد ذلك زوجها حياء وخجلا ،

وانتظر يوما أو بعض يوم ولا فائدة .

وكانت الست سعاد بعد أن حضر لها زوجها بنفسه ، وهذا شيء كبير بالنسبة لها ، وكاف جدا لرد اعتبارها فى نظرها ، قد عزمت على العودة . وعندما تهيأت نفسها لذلك ، ارتسمت فى مخيلتها نظرات ابنها الأكبر وهى تُضرب أمامه .. وخُيل إليها أنها تسمع صرخات أطفالها وهم يولولون .. وأحست بجرح غائر فى أعماقها .

فجأة أحجمت عن العودة ، ولما لم تستطع أن تفسر سبب رفضها الرجوع إلى زوجها ، فقد التزمت الصمت.وعندما طلب أهلها أن توضح لهم الأمر عجزت عن الكلام ، وشيئا فشيئا أصبح الصمت طابعها .

وقال أهل البيت أن لطفا أصابها ، عندما رفضت رؤية أولادها حين حضروا لزيارتها.وذات يوم ، بينما كانوا يتحدثون معها ، التوى لسانها ولم تستطع الكلام . وصبر الزوج على هذه المحنة الجديدة.وشهامة منه وكرما رفض أن يطلقها لعل الأيام ترد لها صوابها .



العجوز والحمام



العجوز والحمام

ــ طيب بس .. بس .. أنت زعلتى .. ياه .. بطنك فاضيه قوى .. معلهش .. بس متعيطيش .. عارف .. الجوع كافر .. بس بس .. هاتى بوسه .. آى .. حسبى .. هو الجوع يخليكى تعملى كده .

إذا كان بك فضول ، ووقفت تسمع هذا الكلام ، فستتحرق شوقا إلى معرفة تلك الصاحبة ..

أما هو فلن يصعب عليك معرفته ..

من صوته الضاحك المرح ، تحف بجوانبه آثار الشيخوخة .

وعبثا تحاول التخمين .. من هى صاحبته .. وستعجب كيف أتى بها إلى هذا المكان الساكن ، الذى يتخلل هدوءه ضحك الرجل بين حين وآخر .

إنها إحدى حمائم عم عبد اللطيف ، ولا تظن أنها صغيرة لم تتعلم الطيران بعد ، أو أنها مريضة لم تطر .. لا .. فعم عبد اللطيف عنده نوعان من الحمام .. حمام يطير إلى الغيطان المحيطة بالمدينة ، وحمام يمنى ، بنيته الخشبية معلقة فى

حائط الصالة ، ولا يطير إلا فى حجرات البيت وأرجائه . ويتولى عم عبد اللطيف بنفسه وضع الماء له ، ولا يأكل إلا بعد أن يزغطه .. وأثناء رحلته إلى البرج يلذ له اصطحاب احدى الصواحب .

وفى حجرة مكتبه لايمل من الاصغاء إلى هديله . وكأنما اطمأنت الحمامة إلى ماأشاعه هديلها فى نفسه من سكينة ، فجعلت تتدلل ، ولكنه لم يسكت لها :

— اختشى .. اختشى على دمك .. الله يلعنك .. وسخت الكتب . ويشرع فى ترتيب المطبوعات الملقاة على مكتبه . مكتب قصير كأنما من الهرم ، عليه أكوام من صحف ومجلات قديمة وحديثة .. مجلدات الرسالة وكتب الجاحظ .. وكتب دراسية للغة العربية . وعشرات وعشرات من الكتب الدورية فى الأدب والشعر والتاريخ ، استقر بعضها فى دولاب زجاجى فى جانب الحائط . والأكوام الباقية على مكتبه لا يجدى معها أى ترتيب .

ومن الجائز أن تفتح كتابا منها فتجد ورقة مالية ، وفى آخر بيانا من أيام الوفد . وبين طيات الصحف تجد مخطوطات بقلم عم عبد اللطيف يهاجم فيها أحزاب السراى والإقطاع .

ويُضيق عينيه الصغيرتين ، محاولا استجلاء ملامح خطه الذى نال منه الزمن ..

ـــ قلت اختشى .. يابن اللاوندى اتأدب بقه .. منقارك أكل صوابعى . ماتلويش بوزك زى الرجل التركى .. مناخيره بارزه زى منقارك ، وسوده من عمايله ، وعِنَدّى زيك .. طيب بس .. بس .. بطل نقر .. أنت زعلت اللى باشبهك بالتركى .. طيب كفاية .. كفاية .. يابن الإيه بتزعل بسرعه كده .. وهو التركى ده فى حد يشبهه أبدا .

صحانى بوجهه العكر فى منتصف الليل .. تعالى كلم مدير المنطقة .. كان هذا الكلام عام ٣٥ وكنت وقتها فى الزقازيق ..

ـــ نعم ياسعادة البيه .

ـــ احنا عارفين إنك مدرس شاطر .

لعب الفأر فى عبِّى ، ترى .. ماذا وراء هذا التملق .. هل له ابن خائب ويود أن أدرس له ، أما كان ينتظر حتى الصباح . أمرنا لله .

ـــ خير ..

ـــ كل الأساتذة والمفتشين بيشكروا فيك .

ـــ يابيه العفو .. دا احنا تلامذتكم .

ــ وأنت سيد العارفين .. الوزير جاى بكره ..

الحقيقة انقبضت وشممت رائحة الخطر .

ــ وإيه اللى أقدر أعمله .

ــ حاجه بسيطة قوى .. بيانك الجميل اللى بتعلمه لأولادك في المدرسة .. تدبج لنا بيه خطبة ترحيب ..

ــ بس سيادتك عارف ..

ــ يأستاذ عبد اللطيف .. دا شغل .. وطبعا حاجه زى دى تخلى مستقبلك فوق .

ــ بس سيادتك عارف ..

ــ بلاش تردد وخليك عند حسن ظنى بيك .

ــ طيب .. أكتب لكم الخطبة وتقولوها أنتم .

ــ وحلاقى لسان سليم غيرك يقدر يقولها فين ..

ــ طيب اكتبوها أنتم وأقراها أنا .

ــ ماينفعش ..

وتأهبت كتل شحمه لقذف الحمم ، واستعد ذيله التركى ــ مدير مكتبه ــ لتحويل الحمم إلى إجراءات إدارية .. وقف . نقل إلى أقاصى الصعيد. تأخير علاوات ..

كيف أرحب بوزير السراى والبلد كلها تعرف أنى وفدى . هل فعل حزبكم شيئا للبلد كى نرحب به .. ؟!

ـــ أفكر ..

وعنها ، بلغت شباب الوفد وهات يابرقيات للوزارات والجهات المختلفة .. وقبل أن تتحرك أى شرطة .

نجوت من الخطبة .. وشتتونى فى أعماق الريف رغم أقدميتى ، وحصولى على امتياز فى تقديرات المفتشين . أما العلاوات فقد ضلت طريقها إلينا .

ـــ بس .. بس .. ابعد عنها جاتك الهنا ..

وضع أصابعه بحنان حول عينيها وتحسست يده الأخرى رقبتها ، وانزلقت برفق نحو حويصلتها .

ـــ ياه دا أنتِ متِ من الجوع ... لكن بالذمه قوليلى ... لو كنتَ مطرحى ... كنت تعلمى كده ... تضحى بكل حاجة عشان اللى فى دماغك . أغمض عينيه ، واستلقى برأسه على مسند كرسيه العتيق ـــ خلف مكتبه ـــ وسرح .. حطت حمامة على كتفه لايكاد يمد يده لامساكها ، حتى تنتقل لكتفه الآخر ، حاول القبض عليها ، فأفلتت بسرعه ..

ـــ بقى يعنى مش قادر لك ... وانت عماله تنطى كده زى عبده أفندى بتاع الألعاب ...

ظل ينط فى الحوش عند الأب داود ثلاثين سنة ، وأصبح رجلا عجوزا ، ومازال يصيح : ثنى .. مد ، فى حوش

المدرسة الإبتدائية ـــ الرابضة فى الحسينية ـــ والتى أطلق التلاميذ على ناظرها وصاحبها ، اسم أبو داود ، وعلى مدرسته كلية أبوك داود .

وكثيرا ماترك عبده أفندى مكانه فى الفصل بحجة ذهابه إلى دورة المياه ، ثم يتسرب من المدرسة ، ويأكلها عبده أفندى ..

وعندما فطن عبده أفندى إلى الحيلة كان يقف أيضا ، ولكن لا تمض بضع دقائق حتى يأمر الألفة بالوقوف مكانه ريثما يدخن سيجارته خلف باب الفصل ... وفى الحقيقة كان يدخنها فى منزله .

وعبده أفندى يزوره بين حين وآخر ، وقد أصبحا على المعاش ، ومع ذلك يتشاتمان ويصخبان ، ويمزحان ، ويستعيدان فى لذة وشغف مكرهما فى سالف الزمان ... وضحكهما على ذقون آخرين ، وضحك كل منهما على شنب الآخر .

نهض عم عبد اللطيف ، بقامته الممتلئة ، التى تميل إلى القصر ، وذهب إلى بنية الحمام فى الصالة ، احتضن أربع حمائم صغيرة . عاد إلى كرسى مكتبه ، وضعها فى حجره ، نثر على جرائد مكتبه حبات الأذرة . ربت على ظهورها .

ـــ طيب انتو صغيرين لاقيين حد يسأل عنكم ... إنما لما

تعجزوا .. الظاهر ان اللى بيعجز يبقى على الرف ياولاد ... سعد بقاله زمان مابيبعتش ... ولا عاد بيقولى على اللى بيحصل عنده وياخدرأيى . استرخى بكلكله على مقعده . أغمض عينيه نصف إغماضه . وبين حين وآخر ، يتفلت من شفتيه :

ـــ وبعدين ... !

لمح ذكرا ينط على أنثى

ـــ ابعد عنها .. هيه دى حملك ... شوف ياخويا بيبص لى ازاى .. اسمع أما أقول لك ... أنا كنت شقى صحيح وعملت كثير ... لكن قبل ماأجوز ... بتبرطم .. مش عاجبك كلامى ...

يابن الإيه دا أنا فلاح زيك .. ولما اشتغلت قعدت مده كبيره وأنا عازب فى الفلاحين ... وحتى بعد ماخلفت سعد بفترة ...

ارتفع هديل الحمائم فى حجره .. بينمـــا يده تنـــاغش صدورها .

ـــ ياجدع ابعد عنها .. ها .. بتقول إيه .. جعان .. حالا أنزل أشترى لك الدره بتاعك ... بس ماتزعلش ... وطى صوتك أم سعد تسمعنا .. اسكت أهى جاية القهوة أشربها وأنزل على طول . تأمل عودها الضامر وهى تغادر الحجرة ، وقد تدلى من « العصبة » ، شعرها الذى تحول إلى سلوك رقيقة

هشة بلون رماد سيجارته اللف . وعيناها الخضراوان ، ماتزلان تحتفظان بلمعة أخاذة .

أربعون عاما معها ... ولكن نقارهما لم ينقطع يوما ، والآن رغم كبره ينزل إلى السوق ليثبت لها بعثرتها للنقود ... « وبكام دى ياهنايا .. جاتك البخت .. والنبى ما أخده إلا بكذا .. »

يبتسم له البائعون ، فيخفضون له الثمن تارة .. ويبقون عنده الباقى تارة أخرى .

وهى تتهمه بتضييع الفلوس فى الكتب والجرائد الفارغة ... وابنه مثله ... امتلأ دماغه بالكلام الفارغ . سأذهب عند أخى فى الفلاحين ، حتى يعود ابنك ، يشوف لك طريقا .

ليته يرى لى طريقا . ساعدت أبى عندما اشتغلت . لكن .. لا .. فليتكفل هو بنفسه .

امتدت يده دون وعى إلى إحدى رسائل ابنه ... نشعت عيناه بدمع رقيق ، وطالعت : .

إننا يا أبى مسرورون جدا ... ونحقق انتصارات دائما ... وكلامك عن جمال الأفغانى وعن عرابى ، زمان يمدنى بالأمل كل يوم .... وأنا أحدث زملائى عن دروسك لنا ونحن صغار ، وكثيرون منهم يودون مراسلتك .

وهاك أسماءهم ...
ولا أظنك تبخل عليهم بفيض من رسائلك .
والكثيرون يعدونك بهدايا ، ويودون مقابلتك بعد العودة إن شاء الله .

ارتجفت يداه ، وضاعت منه السطور .
تضحك على وتقول لى مسرورن .. هى حرب الجبال فيها سرور الله يجازى من كان السبب قال أفغانى .. قال .. أنا ادخرتك وعلمتك فى الجامعة لما انقصم ظهرى . وقلت تسندنى فى شيخوختى بقرشين جنب المعاش .. وهل عاد معاشا .. حزب صدقى بعقوباته قصفه .

كان نفسى على الأقل أفرح بشبابك .. وأشوف يوم زواجك . غفا قليلا . تحركت يداه تبحث عن علبة الدخان . استعان بكحة كادت تمزق رئتيه على اخراج بلغم فى صدره .

أما زلتم ذاكرين لكلامى عن الأفغانى ... جذب نفسا أتى على نصف سيجارته الرفيعة . نوى أن يكتب عددا من الرسائل له ولإخوانه . فتح باب شرفة حجرته البحرية — فى الدور الثالث — فغمرته شمس الضحى ، ملأ رئتيه بالهواء . بعد قليل يهل الأولاد . ولا ينقطع وفودهم حتى المساء .

عدل من وضع طاقيته مع أول طرقة لأحد تلاميذه على الباب ، أفلتت حمامة كانت فى يده :

ـــ ماتزعليش .. على عينى حاضر .. قربنا من آخر الشهر وربنا يجبر .. وييجى كام قرش من الدروس وأشترى لك دكر من نوعك .. طلبك فى قلبى من جوه . لسه ليه لويه بوزك . مش مصدقه .. عندك حق ... معندكيش عشم فى كلامى .. أصل كله ماشى بالعشم .. الدروس بالعشم .. والقبض بالعشم .. وكل واحد زى ما ربنا يقدره .

ويفاجئه بعض الزوار من الريف ، لقضاء بعض الحاجات فى المحافظة .. يخلع جلبابه ، ويضع بدلته ، يتحمل رذالة الموظفين .. « ويكع » من جيبه ثمن التمغات ولا يصح .. هؤلاء فلاحون ولازم يتغدوا عندنا .. ويأتى تلاميذه الذين أصبحوا شبابا .. يستعيرون جرائده وكتبه التى لا يعود أغلبها .. ويتناقشون قليلا فى السياسة ..

وفى ساعة الغروب يصعد إلى السطح ، يلوح بعلم صغير ، إلى حمامه الطائر ليؤوب إلى البرج .
والحمام الذى فى الشقة « واخد على خاطره » ..

أنا طول النهارمعك . لا تزعل .. ابنى من حبه فيك نام هناك فى بلدك . ولن يأتى أبدا .

ترفرف حمائم حوله ، ويقف بعضها على كتفه .
ـــ ياسيدى الدنيا ومافيها ، مادام أنت مبسوط وبترفرف .

باكو شيكولاته



باكو شيكلاته

الركن الصغير من الغرفة الضيقة ذات القضبان الحديدية كان بالنسبة لى ركنا مقدسا .

أنهى أى شخص من سكان الغرفة الثلاثة عن الاقتراب منه ، وفى الليل أحاذر فى نومى حتى لايفسد كل شىء ، وعند الصباح أطمئن عليه فى موضعه وأنا أتساءل : ترى هل يقدر له أن يصل إليها ؟

مضت أسابيع وأنا أسرق الدقيق من فرن السجن حيث جرى تصنيعى . أبيع الدقيق بسجائر ، وأحول السجائر إلى نقود ، حتى تمكنت من شراء هذا الباكو من الشيكولاته .

غدا جلسة استئناف للحكم .. سأقابل زوجتى .. وأقابل ابنتى .. هل سأستطيع أن أبقيها فى حضنى .. أصغى إلى تنهداتها .. أتأمل عينيها الماكرتين ، وأربت بيدى على خدها الناعم كالحرير .

وعلى بوابة السجن امتدت أصابع سجان غليظة ، تفتش الباكو خشية وجود ممنوعات مهربة . تمزق قلبى مع كل كرمشة لغلاف الباكو المفضض ، وخشيت بين لحظة وأخرى أن تتفتت

الشيكولاته بين راحتيه .

وما إن سلم الباكو من هذه التجربة ، حتى هم بوضعه فى جيبه .

انتزعته منه فى قرف .. وطوال الطريق إلى المحكمة أخذت أصلح من وضع غلاف باكو الشيكولاته ، كى يبدو منظره مقبولا .

وفى المحكمة ، أحاط الناس بالقفص ، وعبثا حاول العسكر حفظ النظام .. الجميع يتكلمون ، يسلمون موصين بالصحة والعافية ، وأولو الأمر يبثون نصائحهم بخصوص القضايا وأعمال المحامين ..

وأنا وسط هذه الزحمة ، صافحت زوجتى ، وأعرتها أذنين غير صاغيتين ، وعيناى على صغيرتى خارج القفص .. أحاول ضمها إلى !!

ومددت يدى أبحث عن ....
جمدت يدى مكانها ، كأنما شُلت ، وتصلبت عروق ، ولم أدر هل أخرج يدى أم لا ؟!

العرق ، التزاحم ، أحضان الأهل والأصدقاء ،. احتكاك الناس فى الطريق إلى القفص ، كل هذا حول الباكو إلى قطعة من العجين .

دون أن أشعر وجدت نفسى أعطيها إياها .

كدت أختنق والصغيرة تنظر إلى ساهمة .
مكثت مدة أنظر لوجهها الجامد الذى لايعبر عن شيء ..
ابتسمت الصغيرة ، فابتسمت .






ماما ستو



لسانها لايكف عن الشكوى .. من المعيشة والذين يعيشون . من الدنيا وأحوالها التى لا تسر عدوا ولا حبيبا . من الخالق الذى لا يرحم عبيده المتعبين . من فنجان القهوة لو وقع من يدها سهوا . من الإبرة إذا وخزتها فى يدها . مايجعلها تشكو — حسب زعمها — الطفل الصغير ..... وللإنصاف فهو ليس طفلا صغيرا ، بل جنا مصورا ، عفريتا مسلسلا ، يجعلها تصل إلى حافة الكفر . وعندما تصل إلى هذه الحالة تصفه أنه : بذرة شيطانية . يغيظها المجرم ، فيخرج لها لسانه ، ويطلق ساقية الصغيرتين . وهو يجرى قد يقلب لها إناء طعام . أو يصطدم رأسه بالباب فيصاب بكدمات . وحين يجرى حافيا ، ينخلع قلبها وتصيح : ياواد الازاز يعورك . لايصغى الصغير لأى نصيحة ، فلا تصبح بذرته شيطانية فقط .. وتنعته بنعوت لا يصح ذكرها . ويكون سيء الحظ من يقترب منها فى هذه اللحظات ، فالقطنة إذا مست أنفها تشتعل ..

وتستجـــلب لعنــــات تنصب على رأس الصغير وعلى رأس أبويه . وتبدى عجبها من بختها المائل دون الناس جميعا لوقوعها فى حبائل هذا الشيطان اللعين . يصل كل هذا .. إلى مسامع الجيران ، من صواتها الزاعق ، الشاتم دوما ، ويصل إلى الزوار .. ويصل إلى أهل الطفل من ناحية أبيه ، وإذا كان قلبهم عليه

فليأخذوه ويكفونها شره . ولا تكف عن الشكوى لأم الصغير . كلما وقعت عليها عيناها دون تمييز لحالتها ..

متعبة .. مستريحة .. مسرورة .. حزينة . عندها صديقات ، مدرسات أو مدرسون من زملائها فى العمل . ناظر مدرستها لو تصادف وزارهم .

وتزفر زوزو :
ــ أوف ياماما .. يعنى أدبح الوله ..

تنكس الأم رأسها ، وتسيح دمعتها ، وتميل بخدها على راحة يدها . وبصوت خافت تفضفض عما بها .. فتتهم الناس بالجحود لأنهم لا يصغون لأناتها . ولا تدرى لمن تسلم أمرها .. فحتى ابنتها لا تتحمل منها كلمة ..

تقول زوزو :
ــ زهقانة من حتة عيل .. أمال أنا أعمل إيه اللى باأدرس لميت عيل ..
ترد الأم :
ــ ابنك حسن موش زى العيال ياست زوزو .. !! وبعد قليل تخفف عن ابنتها فتدندن : ياموجى روق زوزو بتملى

ويدخل النمرود الصغير .. ملابسه متسخه ، فتحة فانلته مقطوعة ، شعره مسترسل على أذنيه وعينيه ، بعضه يقف وسط

رأسه كعرف الديك ، أصابع قدميه بينها وسخ ، أسنانه الصغيرة المصطفة فى انتظام على استعداد لقضم أى يد تدغدغه . تسايسه زوزو ، وتحاول احتضانه وتقبيله . ولكن تسايس من ؟!

سرعان مايزوغ منها ، كأنما صنع جسده الصغير من مادة تساعد على المرواغة . يقفز على بياضات السرير النظيفة بأصابعه القذرة . وجدته تصرخ نادبة تعبها الذى راح هدرا . فيعاود الشيطان الكرة من الأرض إلى السرير . ويتسلق الترابيزه . ويقفز على كرسى بجوار الباب وأمه تحذره فى استعطاف .

- تقع ايدك تيجى فيهاآآه يا . يرد عليها باللعب فى زر النور . فيسود الظلام وتصرخان معا ، يضحك المجرم ويوقد النور .

تغريه أمه بقرش . وبحلوى . وبنزهه جميلة . وبهدية المسدس الذى يلح فى طلبها . والطفل لا يستكين . فتقول جدته :

ـــ أمال لو كنت بس فالح على العيال بره .. أهم قطعوا لك فانلتك .

يزداد الشقى عنادا ، والأمان خلفه من حجرة إلى أخرى .

وتعلم زوزو من أمها أن المضروب لم يذق طعاما منذ الصباح ، وتبذل مافى وسعها لتهدئته ومحاولة إطعامه فلا تستطيع ، فتقول أمها :

ـــ ياستى دا مجرم .. زمانه أكل لقمه هنا ولا هنا .

وتؤكد أنها لن تستريح ولن يقر لها جفن إلا إذا جاءها في يوم ما خبر هذا الشيطان .

ولا يلجم الصغير إلا إذا تصادف مرور خاله عليهم ليرى أحوالهم . تشكوان له مروق الطفل ، فيشخط فيه بغضب وحزم . ويظل الصغير فترة ينظر إلى عينيه فإذا تأكد أنه جاد فى غضبه انصاع للأمر . أما إذا لمح أقل بادرة للضحك فلا أمل فى سماعه الكلام .

ومن الغريب أن الأمان رغم تعبهما معه ، وضربهما له أحيانا ، لم تشخطا فيه مرة واحدة بحزم .

وماما « ستو » لاتتمنى شيئا فى الدنيا قدر أن يأتى اليوم الذى يجتمع فيه الشمل ويذهب الطفل مع أبويه . وتجرب أمه التعب فى تربية هذا الشقى . وتجلس هى مرتاحة البال لا يشغلها شيء . وتؤكد بنتها أنها ترغب فى تحقيق أمنيتها لكى تكف عن الشكوى التى باتت تعتقد أنها لا عمل لها سواها . حقيقة هى تطبخ وتمسح وتغسل .. ولكن كل ذلك هوامش إلى جانب عملها الرئيسى . وهو الشكوى « للى يسوى واللى مايسواش » .

وحين جاءت العطله الصيفية ، وأسرعت زوزو إلى شقتها التى لا تفتح إلا مرة كل شهر منذ نقل زوجها المدرس إلى

الصعيد فى أول العام .

وودعت أمها فى فرح وتأثر :

ـــ خلاص ياستى .. حنريحك من قرفنا ومن دوشة الولد ..

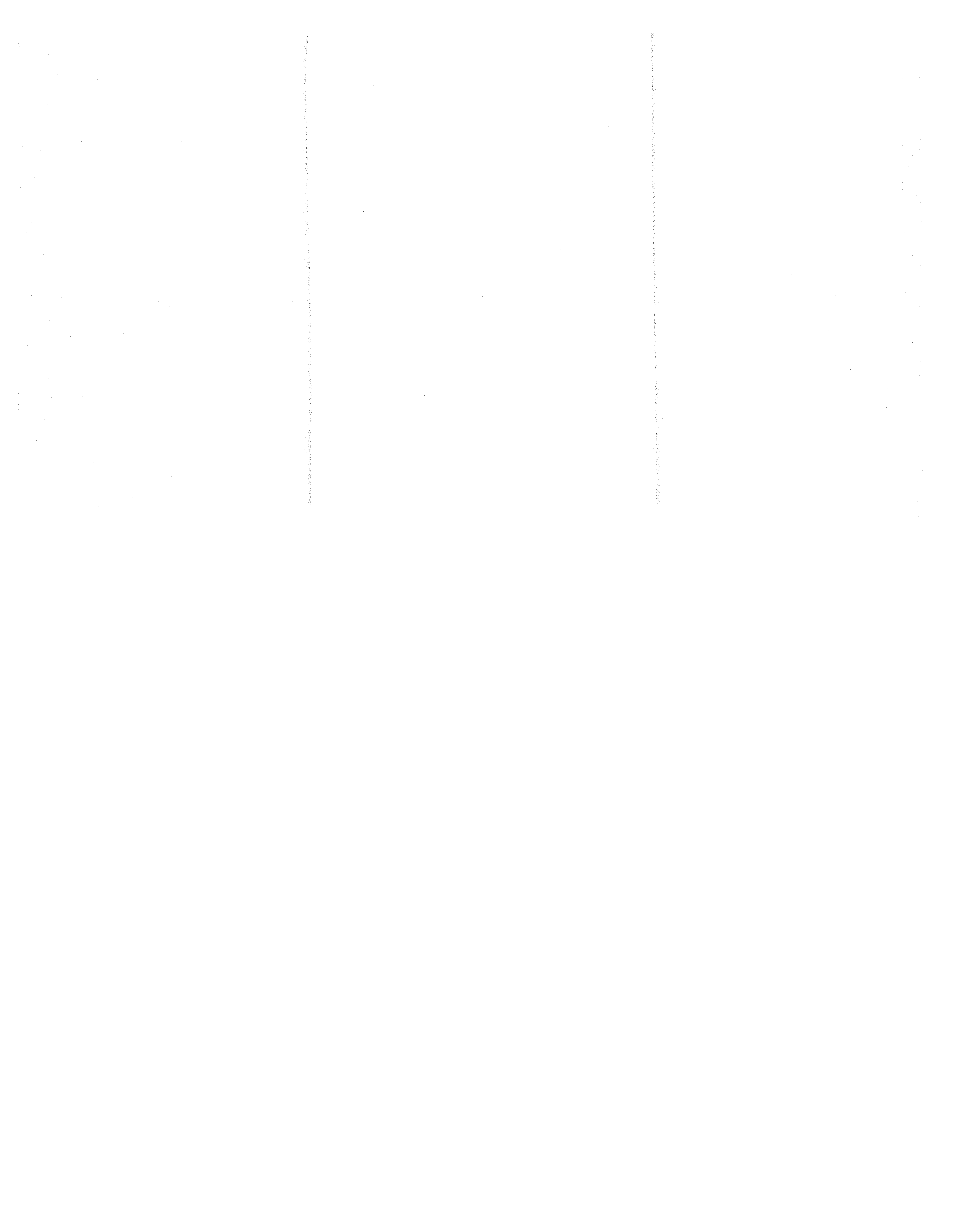
ودهشت لرد أمها :

ـــ ياختى .. هو أنا شايلاكم فوق دماغى ..!

أغلقت بابها ، راعها سكون مطبق . حاولت أن تنام . قامت لتتأكد من وضع ترباس الباب . الوقت متأخر ، ولا تصح الزيارة . وأى عذر .. أقوله قد يضحك البنت منى . لا . الصباح رباح . تتقلب على الجنبين . الليل قد طال .. هل عاد الشتاء ..؟!

ولم تكد تشرق الشمس حتى أسرعت إليهم ، احتضنت الطفل الذى استسلم لها بحب ، وأدب مؤقت . خرجت به إلى منزلها ، وقالت ، غير عابئة بمعارضة ابنتها الضاحكة ، ومعايرتها لها :

ـــ ياختى .. على بلاوى الأيام دى .. انتوا تعرفوا تربوا عيل ..!!



أفيونجي بهوات



افيونجى بهوات

منجد عامل المصعد فى مجلس المدينة ، نظرة منه كفيلة كى تجعلك تفكر جيدا قبل أن تغامر وتستعمل مصعده . هذا إذا كنت من الغرباء ، أما موظفى المجلس فيا ويل من يضبطه يستعمل المصعد مرتين فى اليوم ، لايعترف أن هناك إدارات أخرى خارج المبنى ، تستلزم تنقل الموظفين إليها لإنهاء أعمالهم . بل يعتبر استعمال المصعد نوعا من اللهو ، أو المتعة ، لا سيما بالنسبة للموظفين الصغار ، الذين لسوء حظهم تقع مكاتبهم فى الطابق الرابع من مبنى على الطراز القديم ، درجات سلمه كثيرة ، مرتفعة ، يقف الإنسان عند كل بسطة ليسترد أنفاسه .

وعندما يكون منجد رائق المزاج — وقليلا مايكون — يشفع زجره بقوله :

— والله إدارة الكهربا عطيانا أوامر نوقفه بعد الساعة عشرة . أو : عندى أوامر مكتوبه بكده ..

ومن المألوف أن تجد بعض أشخاص أمام المصعد ، لايسمح لأحد منهم بالصعود ، فى انتظار شخصية هامة (فى نظر منجد) عندئذ ربما سمح لأحد من الواقفين فى الصف أن

يرافقها . والمصعد الذى عليه كل هذه الامارة لايسع أكثر من شخصين بالاضافة إلى منجد وفى الحالات التى يلبد فيها منجد على دكته الخشبية القصيرة أمام المصعد لايسمح لأحد أن يكون ثالث الصاعدين ، مؤكدا أن طاقة المصعد لاتتحمل أكثر من شخصين. ولا يحظى بشرف الجلوس على دكته جنب باب المصعد ، عندما يتشمس فى مدخل المبنى ، سوى صبيه . ورغم أنه يفوقه طولا وعرضا ، ولا يقل عمره عن الثلاثين ، ويستطيع بسهولة أن يهشم جسد منجد الذى يشبه السفاه ، إلا أنه لا يكرمه بمهمة مرافقة زبائن المصعد المفضلين . وكثير من الموظفين أعادوا التفكير فى تقويم أنفسهم بعد ماتعرضوا لغلاسة منجد ، وقد كبس طاقيته المزركشة . دوما يذكرهم بالأوامر التى لديه :

ـــ مرة واحدة الصبح للأفندية ..

ثم يطبق جفونه التى تشبه قشرة الملانة . ولم يمل من ترديد هذه العبارة طوال مدة خدمته لهذا المصعد التى تعدت أربعين عاما . وقد أتى على مدينة المنصورة حين من الدهر لم يكن بها غير هذا المصعد ، وكان من يستعمله ، يسير بفخر فى المدينة ، ويذكر بزهو فى كل مناسبة أنه ركبه .

وكان بعضهم يختلق الأعذار ليستعمله .

ومع أن أخربة المدينة قد نهضت فوقها عمارات حديثة ،

وكثر عدد المصاعد بها ، وأصبحت البلدية مجلس مدينة وكثر تردد أصحاب الحاجات وزاد عدد الموظفين ، إلا أن منجد ينظر إلى هؤلاء الناس فى اشمئناط من يتفضل عليهم ، ولا يفتأ يتمتم لنفسه ، وهو يوصيها بالصبر :

ــ الناس دى موش عايزه تفهم ... !!





قـرقـر



قـرقـر

منذ خرج رسمى من الجيش ، وهو يقف شارداً أمام أقفاص الفاكهة لا يلاغى المارة ولا يهش لاستقبالهم . لم يعد يطلق المساومة . يسب الدين ، ويهيم على وجهه فى الطرقات ، بجسده القليل ، وشعره المسترسل على جبهته . رأسه صغيرة وملامحه دقيقة متناسقة . لايشذ عن ذلك غير شاربه العريض المبروم . سماه أصحابه أبو شنب ، ثم تحورت التسمية إلى أبو شبت ورسمى غير عابىء بمزاح الصحاب . لايصغى لغير صوته الداخلى ، يهتف دون انقطاع .. فى أى حارة تسير الآن ياقرقر .. وهل تطوف أكثر مما تعودت ، لا أحد يعلم حقيقتك أيها اللعين غيرى . هل من اشتراك تُخدع فى حجمك الصغير ، وجعلك لا تجر حمولة كبيرة . ولكنى أعرف مقدرتك الحقيقية . ولم أكن أمل وأنا فى صحبتك ، نطوف الأحياء ، ونتحمل مساومات النسوة ، ومزاح راغبى التسلية السخيفة . كنت ياقرقر تصغى فى صمت ولا تبالى . وحين ينتصف النهار ، أجد فى سيالة جلبابى ضعف ماتعودت من الفكة ، قبل أن يصادفنى الحظ بشرائك ، وأوراق النقد الصغيرة تعمر حافظتى . وبعد ،وجودك اشتريت عدة عربات كارو صغيرة . سرحت بواحدة منها ، وأجرت الباقى .

وفكرت فى الزواج ولكنى أجلت ذلك حتى أنتهى من الجيش .

وفى العصارى ، عندما كنت أتعب من المسير ، أوقف العربة وأزيد العلف لك ياقرقر ، لعلك تسمن قليلا . ولكنك كذبت ظنى دائما ، وظللت بحجمك القليل ، وإن لم تبخل بمقدرتك على جر حمولة حصان . أتركك ياقرقر على راحتك ، وأحضر « التماسى » فى محل أحد المعلمين . لم يخطر ببالى أبدا أن أترك الجيش فلا أجدك ياقرقر . بهدوء عجيب أخبرنى أخى الصغير أن والدته وإخوته احتاجوا لمصروفات أثناء غيابى فلم يجدوا غيرك ياقرقر فباعوك ولم يدر بخلدهم أنه كان أهون عندى أن يقطعوا قطعة من جسدى لبيعها بدلا منك . ليتهم باعوا عربات الكارو . ألم يجدوا غيرك ياقرقر ..؟!

والآن كيف أبدأ دونك ياقرقر ، وأين أجد جحشا مثلك بعد الآن ، لقد عُرض على أن أبيعك بضعف ثمن شرائك فرفضت، وهل فى كل يوم يعثر الإنسان على حمار مثلك ياقرقر . ترى فى أى قرية أنت الآن .. وماذا يفعل معك صاحبك .؟ كنت تزاملنى أثناء القيلولة . أتركك أمام المقهى لأدخن كرسيين من المعسل ، وأرشف الشاى ، وألعب الورق بحرفنة شهد لى بها كل الصحاب . أقسم أنى كنت أتفاءل بوجودك أثناء لعب الورق . والصحاب يضحكون عندما تنهق : الحق الجحشة العنابى بتناديك . ولم تكن تنادينى ولكنهم يريدون التخلص

منى بعد أن هزمتهم .

كيف أعثر عليك ..؟

حفيت قدماى من اللف ، سألت التجار الذين توقعت أن أجدك عند أحدهم . سألت أخى كثيرا عن أوصاف من اشتراك وعن وجهته ، فلم أظفر منه بما يساعدنى .
كيف أعثر عليك ..؟





إيجارة مع رجل ميت



إيجارة مع رجل ميت

ـ رحم الله والدك . كان يحملنى على كتفه أينما ذهب
ـ الأرض
ـ كنت طفلا أحبو وهو صبى فى الثالثة عشر ..
ـ الأرض
ـ كان طيبا جدا . يحب الناس خلاف أخيه . وجهى فى وجهه ولا يلقى السلام
ـ الأرض ..
ـ أنت ابن لى .. لا تكن مشاكسا كأبنائى ..
ـ الأرض
ـ جاءنى ابنى الأكبر يطلب مئة جنيه ليتزوج بها . طردته خارج البيت . هل له عندى شىء ..

ـ الأرض ..
ـ طول بالك ..
ـ الأرض ..
ـ طبعا أنت حر فيما تملك .. هل منعت عنك شيئا طلبته .

ـــ الأرض ..
ـــ ألم أكن أفتح لك حافظتى فتقول أنا شريك المسلم والنصرانى .

همت على وجهى فى حارات المدن . فى أزقة االمدن رأيت بيوت العاهرات وسمعت الضحك الفاجر . آن لى أن أبدأ من جديد .
ـــ الأرض ..
جاوبه بقهقة عالية ..
اللعين يضحك . يعلم أنى لا أملك حياله شيئا .
ـــ هل نتغدى معا ..
يعلم مقدرتى على المشاغبة . يريد أن يأكل بعقلى حلاوة .
ـــ لى أقرباء فى القرية وهم أولى بى ..
ـــ نستأذن منهم والغداء عندنا .
ـــ أمر عليهم وأعود
ـــ رجلى على رجلك ..
ـــ أرح نفسك .. لا داعى لتعبك ..
ـــ عيب . لاتقل هذا الكلام . أنت ضيفنا . لا يصح تركك بعد كل هذه الغيبة .
ـــ أرضى أريدها .. سأزرعها بنفسى ..
ـــ كل ماتريده سأحققه لك . كم يكفيك من المال لتحل أزمتك .

ــ أزمتى دائمة .
ــ هى لك وكل ماتريد .
ــ نكتب هذا الكلام .
ــ ألا تثق بى . لا تجعلنى أقسم ألا أفعل من أجلك شيئا .

الماكر يريد أن يعملها زعلة حتى لأطول عنده حقا .
ــ لا داعى للقسم ياعمى ..
ــ بالتفاهم يمكن عمل كل شىء ..
ــ الأرض .
ــ أنا معذور . سل العمدة . منذ يومين كنت أقترض منه كى أعطيك شيئا . لم تهاود الريح .
ــ الأرض .

ذبح الرجل كتكوتا وقال :
ــ كل لحمة .
أى لحم فى هذا الكتكوت .
ــ كل لحمة .
ــ الأرض .
ــ نشرب الشاى .
ــ لا وقت لدى . هناك أشياء أريد أن أنتهى منها .
ــ نشرب الشاى وفى رعاية الله .
ــ لم ننته إلى شىء .

ـــ توكل على الله وسأرضيك .
ـــ لم نقبض إلا كلاما ، هل أعطى الناس كلاما فيسكتون عنى
ـــ لايمكن أن أترك أرضك ولن أسمح ببيعها لأى مخلوق .
ـــ لا أريد بيعها .. سأزرعها .
قهقه الرجل عاليا ..
اللعين يعلم أنى لست أعنى ما أقول .

يضع يده على الأرض بإيجارة مع رجل ميت . قيمة الإيجار لاتسد ركنا صغيرا من ديونى .
ـــ أريد الثمن مرة واحدة حتى يمكن الإفادة منه .
ـــ نتفق أولا أنك ستبيع ..
ـــ الأرض أو الثمن كله ..
ـــ المال ليس جاهزا معى الآن .

لعبة قديمة . يريد الأرض دون ثمن . يشترى سكوتى بمبلغ بسيط . لايريد أن يغرم شيئا .

ـــ عندك الكثير ..
ـــ سبحان الله ..
ـــ الأرض أو الثمن كله ..
ـــ لاتكن مشاغبا ..
ـــ سأبحث عن مشتر ..

قهقه الرجل عاليا ..

اللعين يعلم استحالة وجود مشتر . إذا وجدت « المخالصة » وجد ألف مشتر . وبينى وبين « المخالصة » الحياة والموت . وإذا أخذت عربونا سيطلع بحجج فى الأرز ويؤجل باقى المبلغ للعام القادم وفى العام القادم يدفع جزءا ويؤجل الباقى للعام التالى ، وهكذا حتى يشترى الأرض من عرقها .

— ارجع لعقلك وستجدنى على صواب .

لو رجعت لعقلى لقتلتك من فورى . اللجوء للقضاء يحتاج الوقت والمال . والمال ملك يمينك .





زوبعة على الطبلية



زوبعة على الطبلية

لم هذا ؟..
لم الإيذاء والنكد ؟..

ألن يمر يوم دون دوشة .. لم تعكير الدم ساعة الظهيرة والعيال قاعدون على الأكل . يعنى أطين عيشتهم وأخليها لقمة بالسم الهارى ..

أقلب الطبلية وأطير طفح الدم وأخلى يومها أغبر ..

إذا فعلت ذلك .. هل تتعلم وتعرف إن الله حق .

اللهم اخزك ياشيطان . أترك البيت وأخرج أحسن . الواحد تعبان من دوشة المكنة . ومن صباح ربنا « يتشحطط » قدامها كأنه مكوك ثانى لاضم فيها . وعيناى ، عمتا من تراب القطن ، وأنفى انسد .

وآخرتها أجدها طابخة محشى بالأرز !!
متى يعوض الله صبر الواحد خيراً ؟!

الواحد طول النهار يقول فى نفسه حالا تصل البيت وترتاح ، وطبعا فيه لقمة تمرى على جسمك ، فيجد بدلا من ذلك علفا بالأرز. ياشيخة كفى .. كفرت بسبب أفعالك .

بطاطس ،، أرز ،، بطاطس ،، أرز

وآخرتها تعمل الأرز « محشى » ، كسبنا صلاة النبى ياست هانم ، الروائح الحلوة دائما أشمها فى الخارج ، عمرها ماتفوح من بيتنا ، وساعة ماقربت من البيت سمعت طشاش سمن ، قلت لازم عندها حاجة محمرة .
وريقى جرى ، وقلت عال ليلتك أنس إن شاء الله .
وأخيرا أجد سد النفس .

داهية لا تجعلك تقومى من مطرحك ، سودت عيشتى ، شاطرة تقول هات ، هات ، مافى مرة تقول خذ أبدا ،،

نبهتها بدل المرة ألف مرة ، لما تطبخى نيله محشى ، فى عرض دين النبى ياولية اشترى له ½ كيلو لحمه ، الأكل يكون له طعم . انت صغيرة ، انت شايفة الواحد تعبان طول النهار ، خلى فى قلبك شفقة ، وبعد هذا المولد ، تعمله خاليا ، ولو كلمتها ، تضحك وتخلق عشرين عدرا ، ياشيخة نفسى تكونى جادة مرة واحدة فى حياتك ، حالا ترد : هق هق ، المره الجايه ، وتأتى المرة القادمة والتى بعدها ولا حياة لمن تنادى ، أرمى عليها يمين طلاق ياناس ..

والواحد يقعد خالى البال ..

لكن ماذنب العيال ؟، هل قال لها أحد تخلف ، شوطة من

عندك يارب تأخذهم مثل « الفراخ » ، وتهون عليك العشرة ياكافر ؟!

وماذا أفعل ؟، لماذا لا تسمع الكلام ؟

وترجع لأيام « الصياعة » ،، تدوخ على واحدة تغسل ، وتمسح . أليست هى التى جعلتك نظيفا مثل الأفندية .

لو تسمع الكلام ، وتحضر لقمة مثل الناس ، إنما لقمتها زفت ، تخفى بها ، لكن ، أليس هذا الكلام من وراء قلبك ؟

يارجل ، كم شعرت معها بالراحة ، وكم جلبت إليك الانبساط ، وجسمها المهلبية ، الناس تحسدك عليه .

طيب والنبى لو لبست مثـــل سيـــدة حقيقية لتهز البلـــد ولا تعرف تكلمها ، يا أخى تغور النسوان وسيرتها .

ليحضروا ، وليروا البلاء الذى عندى .

أنا معك ، الست حلوة قبل الزواج ، كأنها معروضة فى « صندوق زجاجى » لكن الآن ، يشوفوا مخها الزنخ ، ستدفع بى إلى الجنون ، حتى يوم ماتعمل كفتة وتشترى لحمة ولا جمبرى ، تغرقهما أرزا .

واللحمة ياعينى تتوه ، ولا تحس بها .

ماغيتها فى الأرز ، لا أستطيع أن أفهم ، وبعد هذا يقولون ،

المتزوج مبسوط ، فعلا مبسوط قوى .

امسك نفسك ولاتضرب الولد ، فما ذنبه ؟ دعه يأكل لقمته . وأنت تلاعبنى ياحماده ، بالى ليس رائقا لك ، زعلت لأنى رميت يدك . هات ياسيدى يدك أقبلها .

حرام .. والنبى حرام ..

هذه الست لو كانت تراعى الأولاد .. أو لو كانت نظرت إليهم مرة بعناية ورأت أجسادهم الرخوة .. امرأة ليس عندها نظر .. لو كان عندها قليل ..
كانت بطلت حشوهـم . أرز .. أرز .. أولاد مساكين لا يستطيعـون التعبير .. أطفال أجسادهـم هشة ، منتفخة .. ليس بأحدهـم عرق قوة ..

سنة ياست هانم منتظرون أمام الطبلية . حتى تتعطفى حضرتك وتضعى الأكل ، بالك طويل ، وأحبال صبرك تؤدى لآخر المحافظة .

أشخط فيها .. أضربها .. أشد شعرها ..
ولكنى لا أريد إهانتها أمام أولادها ، ولم لا ؟! ، كى تتعلم الأدب ، وتسرع قليلا .

قم يارجل ، كن حمشا .. حمش .. هق . كيف ..؟!
ضجيج المكنة طول النهار فكك دماغى ..

هذا ماأنت شاطر فيه .. الظاهر أنك تخافها ..
وممَ أخاف ؟ .. وهل تتحمل خبطة من كفى ..

هى هكذا .. عنيدة ولا تتحمل خبطة .. أقلها لمسة تجعلها تنام يومين أو ثلاثة ، ولم نذهب بعيدا ؟.. مجرد كلمة ناشفة ، تلوى بوزها وتزعل شهرا أو يزيد . هذا إذا لم تغضب وتتركنى محتاسا بالأولاد ..

وإذا تكلمت اتهمنى الناس أنى لا أعذر وأن أولادها الثلاثة يدوخون العفريت .. وشغل البيت يهد الحيل ..

طيب لم نقل شيئا ، لكن آلا تراعى خاطر زوجها وترضيه بأكلة عليها القيمة .

ياناس زهقت روحى من هذا الأرز .

ولازم تكون جاهزة ، تضع الأكل فور حضورى .. ليس معقولا أن أنتظر كل هذا الوقت ، وإذا كلمتها أجد ردها حاضرا : كنت فى السوق أبحث عن شىء نأكله ودخت السبع دوخات ، هذا غال ، وهذا معطوب . وإذا اعترضت على طول غيابها فى السوق يجرى لسانها كالمبرد : ماذا أفعل وأنتم لا يعجبكم العجب ؟! أقطع نفسى ياأخوتى . من يعمل شغل البيت .. نفسى ومنى عينى تجرب يوما وتقعد فى البيت .. مسح الأرض ولا تنفيض

الفرش .. وفطور الأولاد .. وتجهيز سندويتشات المدرسة ... وحمادة وقرفه .. كلما سويت شيئا نكشه . هل تحب أن تدخل البيت وتجده قذرا .

خلاص .. خلاص .. انقطع يالسانى .
لكن كله مغفور إلا حكاية الأكل ..
ازعق ياولد .. أرها شغلها ..

أو على الأقل إجعلها تفهم ماذا تعنى اللحمة ؟.. قل لها أن قطعة لحم فى حجم الإصبع أبرك من حلة أرز .. وما الفائدة ؟ .. أعرف ردها مقدما .. وهل من الممكن إسكات مثل هذه المرأة ..!!

ستقول : الأولاد لايشبعون . قطعة اللحم لا تملأ البطن . طيب يا أختى .. املأى عيونهم الفارغة وأنا عليه العوض .. والنبى لونى أصفر ، بعد ماكان أسمر والدم يجرى في عروقى ، ياشيخة الواحد نفسه انقطع . مازلنا شبابا وندوخ لأقل جهد فما العمل عندما تدركنا الشيخوخة ؟ كل هذا من فعلك الذى لايعرف التدبير أبدا ..

لا .. لم أعد أحتمل .. أعصابى ستنفجر ..
قم .. أزعق .. اعمل أى شىء .

لاجدوى .. فردها على لسانها : وماذا يفعل جنيه ،

مصروفا للأكل . ماذا أشترى به ؟! بطاطس .. أرز سمن .. دقيق . ياسيدتى .. دبرى أمرك يوم عسل ويوم بصل .

وهل قصرت ياناس . لكن بنداً أهم من بند . الولد عايز أسبرينه .. البنت طالبين منها حاجة فى المدرسة .

ألبى مطالب العيال أولا .

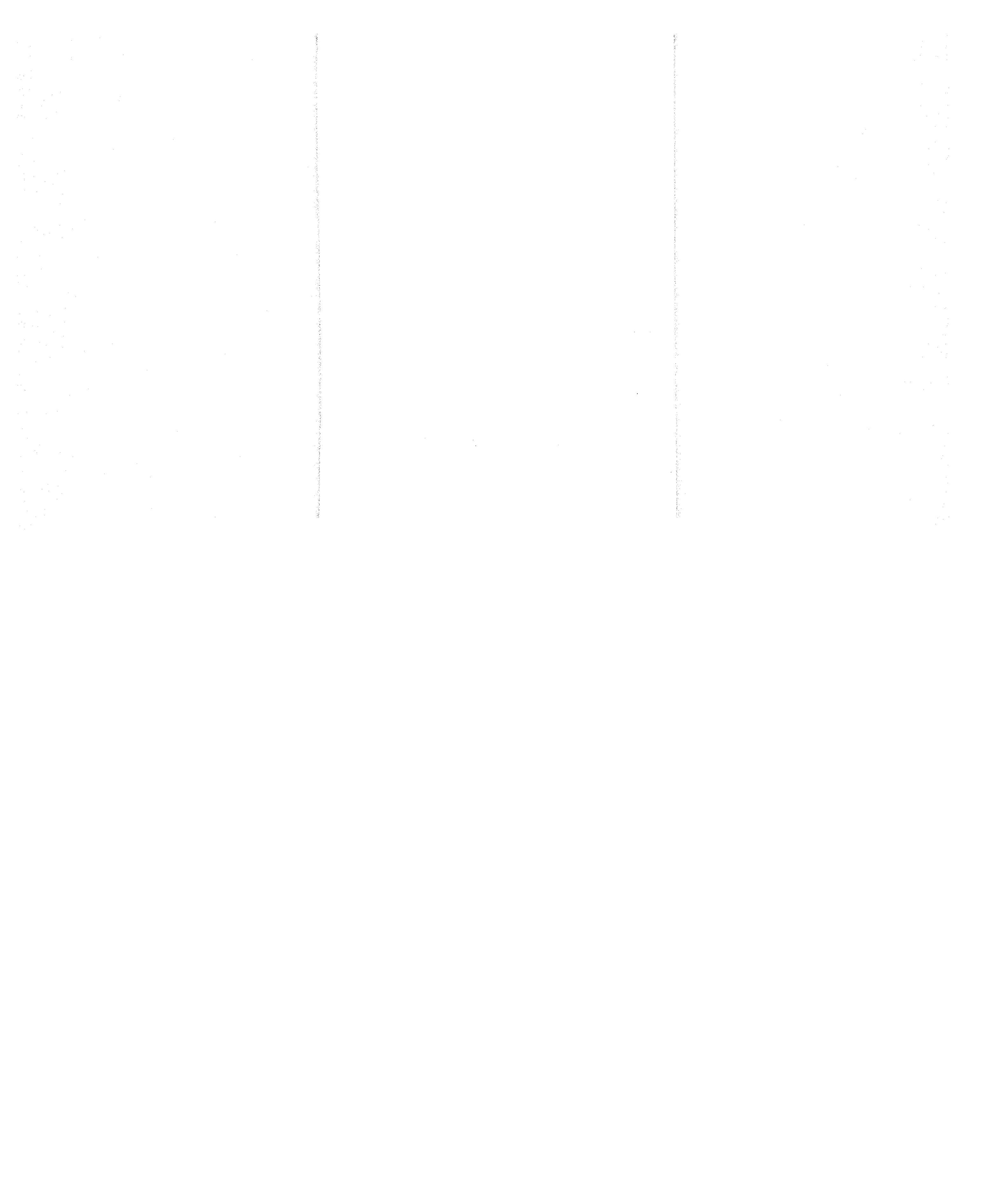
لكن ياعالم .. ماذا يفعل باقى الناس ؟

طبعا ليسوا مثل حضرتك ، يوميتهم جنيهان ، فقط .

قليل من السلاطة . ربنا يرضى عنك . أو حاجة تفتح النفس حالا يأتى ردها المستعجل : ياهوه .. هل حدث شىء فى عقل هذا الرجل .. ؟ بالأمس كان عندنا مخلل . وأول أمس خضروات : فجل وكراث وجرجير . عندما يفيض معى قرش لا أتأخر . يعنى خلاص تسكت . امرأة مثل هذه تتحكم فيك .

وماذا أفعل ؟.

المعقـد



ـــ لا شأن لك .. اصرف هذه .

ـــ لماذا تجادل .. أليست الامضاءات مستوفاة .

ـــ ليس هذا من حقك .. لك أن نقوم بكافة الاجراءات .. نعتمد القسيمة من الرئيس .. إذ زادت عن خمسة وعشرين قرشا أحضرنا لك إذن إضافة من المخازن . إمضاء المشترى أن الصنف ورد والسعر مناسب . إذا كانت هناك لجنة وقع أعضاؤها . كل شيء يسير حسب التعليمات المالية . لماذا تمتنع عن الصرف . لا يحق لك .

ـــ أنت تعقد الأمور . قبلك لم يكن هذا يحدث . لم نسمع مرة من مندوب الصرف السابق كلاما كهذا . كان رجلا طيبا . يسهل الأمور .

ـــ أتظننا بلهاء ، هل أنت فقط الذى قرأت التعليمات المالية ؟

ـــ اصرف لاتخف . لا مسئولية عليك . أنت لك امضاءات واجراءات مادام كل ذلك مستوفى فلا عليك ..

ـــ من قال هذا . مندوب الصرف هو المسئول الأول والأخير . المفروض أن التوقيعات تتم أمامه كى يشهد

بصحتها . ومفروض أن يشترك فى لجنة الشراء . ومفروض أن يكون ملماً بالتسعيرة .

ــ من بعمل هذا ، لم نسمع أن قسيمة بعداستعاضتها قد ردت ثانية .

تواجهه القسائم كسهام مشرعة ، تلح على الصرف . إذا تأخر اتهموه بتعطيل العمل ، والخضوع للروتين . وتوالت برقياتهم تطالب بسرعة الصرف ، فمستنداتهم مستوفية . تراجع على مصمصة الشفاه ، ويوقع رئيس الحسابات الشيكات وأذونات البريد على مضض ، ويحولها مندوب الصرف إلى نقدية جارية . وتنساب من يديه كالزئبق .

الامضاءات . المخازن . لجان الشراء . الممارسة . المناقصة .. اجراءات سليمة مئه فى المئة . يفهمونها أكثر منه ويحفظون كل سطر من شروطها . ويعرفون متى يجب عمل الشيء ، ومتى ينبغى إبطاله . هم يجدون الحلول لكل شىء . وجاهزون دائما . ومفتاح الخزينة معه . والدفاتر الحسابية . وبقلمه يوقع التوقيع النهائى لاعتماد المستند وصرفه .

ــ اختم هذه . أليس عندك شعار الدولة .

وينزل الختم بتردد . نسر الدولة قلق . يتململ .. يكاد يقفز من الورق هاربا .

أسعار الخضروات الموردة إلى المستشفى مرتفعة جدا . لا تخف فهى ليست فى التسعيرة . ولكن لماذا هذه الزيادة . أنسيت أننا نورد كثيرا من الأصناف بالتسعيرة .

رجل يضع ساقا فوق ساق .

— لاتحدثنى بهذه الطريقة

— ومن أنت حتى تطلب ذلك

وفى زاويا المكاتب المتربة ، على الأرض ، أكوام من مستندات الصرف . من يتحقق الآن من آلاف التوقيعات . وعندما تنتهى رحلة الأوراق إلى ديوان المحاسبة . من هناك يستطيع أن يجزم أن هذا التوقيع يخص شخصا بعينه من الناس ..؟

ويعود دون أن يأخذ الشيكات اللازمة . فقط أنت تظهر براعتك علينا . أين هذه البراعة هناك . انتبه لعملك يأستاذ .

وطبيب المستشفى يستعمل أدوات نظافة فى سكنه الخاص . وتأتيه القسائم مستهلكة باسم المرضى . والطبيب قد أضاف إلى خدمته ليلا ممرضتين دون إذن إضافة من المخازن .

وورق . وأدوات كتابية . أشياء لها أثمان محددة فى القسائم . إذا طلب بعضها لعمله من المخازن ، أقسموا أن هذه الأصناف شحيحة ، وينبغى عليه الاقتصاد فى استعمالها .

نشد الحرية فى الأرشيف . سيتخلص من اتهامهم إياه بالمعقد . سيتحرر من قولهم « يعطل المراكب السائرة » .

ــ سرى جدا لاتفتحه . المعنون باسم الرئيس لاتفتحه .

ــ كيف أسجله . لقد استلمته . ألست مسئولا عنه .

ــ إذا وجدت رقما على الظرف من الخارج سجله . إذا لم تجد لا شأن لك . هذا عملنا .

ــ ماذا تفعل . لاترد على شيء .. انتظر التأشيرة الخاصة بذلك .

ــ المختص غائب والعمل سيتعطل .

ــ لاشأن لك . نحن المسئولون . فقط إعرض علينا (البريد) ونحن نؤشر بما يلزم . لا تضف شيئا . لا تؤلف . لاتخترع .

ــ أولا أستطيع إضافة ال ع الشهيرة كما تفعلون قبل اسم الرئيس وأوقع .

ــ ومن أنت حتى تفعل ذلك ... ؟.. اعرف قدر نفسك .

أهذه هى الحرية التى جئت أنشدها فى الأرشيف .

أريد الرجوع إلى الخزينة. وفى قرار نفسه لايريدها . وهم يعلمون أنه يؤذن فى مالطة.

ها . ها . تظاهروا أنهم يريدونك فى الخزينة حتى تصر على تركها ، كان تدقيقك وسؤالك فى كل شىء يقلقهم ، كنت سيدا دون أن تدرى .

صحيح متعبة ، كل شىء بحسابه ، كم يساوى أن يكون الكل فى حاجة إليك ، لاشىء ينجزونه دونك ، الآن من يعيرك اهتماما ، كاتب أرشيف ، ماذا يعنى ، يستطيع أى ساعى أن يقوم بعملك ، وإذا ضاعت ورقة أنت المسئول . لاتحزن على مامضى ، كنت فى الصورة فخرجت منها ، ظننت نفسك تبعد عن اللوم فإذا أنت مشاهد له . أين أذهب إذن .

المخازن . ألعن وأضل سبيلا . بضاعة تدخل فى هذا الدفتر وتخرج من ذاك الدفتر دون أن يكون هناك بضاعة على الاطلاق ، ومحاضر استهلاك لأشياء لم يرها أمين المخازن . وكالعادة كل شىء سليم ومطابق للوائح المخزنية ، وليس لك إلا حق الإدخال فى الدفاتر والإخراج من الدفاتر .

ماذا ، أغيب عن هنا ، البعد غنيمة ، شهادات مرضية وأنا صحيح معافى ، ولأقوم بالأجازة الاعتيادية ، لماذا أتركها ، ولماذا أعملها .

أريد عملا آخر ، وماذا تعمل ؟



الفهـرس

الموضوع	الصفحة

صدر للمؤلف

قصص قصيرة :

١ ــ **سلامات** ــ أدب الجماهير ــ نوفمبر ١٩٦٩ .
٢ ــ **كراكيب** ــ ٣ طبعات ــ أدب الجماهير ــ سبتمبر ١٩٧٠ وسبتمبر ١٩٨٣ وفبراير ١٩٨٧ .
٣ ــ **سجناء لكل العصور** ــ أدب الجماهير ــ يونيو ١٩٧٧ .
٤ ــ **الزمن المستباح** ــ ٣ طبعات ــ أدب الجماهير ــ مارس ١٩٧٨ وأغسطس ١٩٨٢ ومارس ١٩٨٦ .
٥ ــ **النيل ينبع من المقطم** ــ مواهب ــ فبراير ١٩٨٥ .

الرواية :

١ ــ **شارع الخلا** ــ طبعتان ــ أدب الجماهير ــ أكتوبر ١٩٦٨ وأكتوبر ١٩٧٩ .
٢ ــ **نافذة على بحر طناح** ــ طبعتان ــ أدب الجماهير ــ فبراير ١٩٧٦ ــ الثقافة الجديدة ــ ١٩٧٩ .
٣ ــ **المحاصرون** ــ أدب الجماهير ــ أغسطس ١٩٧٢ .
٤ ــ **رجال وجبال ورصاص** ــ أدب الجماهير ــ يونيو ١٩٧٣ .

٥ ــ **الأسرى يقيمون المتاريس** ــ ثلاث طبعات ــ أدب الجماهير ــ فبراير ١٩٧٦ ــ ومايو ١٩٧٩ ــ ويونيو ١٩٨٥ .

٦ ــ **العمرة** ــ أدب الجماهير ــ أكتوبر ١٩٧٧ .

٧ ــ **القرفصاء** ــ أدب الجماهير ــ مارس ١٩٧٨ .

٨ ــ **متهمون تحت الطلب** ــ ثلاث طبعات ــ أدب الجماهير ــ مايو ١٩٨١ ــ ويناير ١٩٨٥ ــ وزارة الثقافة بسوريا ١٩٨٢ .

المسرح :

١ ــ **الناس اللى مامعهاش** ــ طبعتان ــ أدب الجماهير أبريل ١٩٧٢ ــ ومايو ١٩٨٤ .

٢ ــ **حاملات البلاليص** ــ مسرحية فى ٣ فصول ــ أدب الجماهير ــ يونيو ١٩٨٦ .

أدب الصغار :

١ ــ **حلوان شامة** ــ أدب الجماهير ــ فبراير ١٩٨٣ .

أدبى ذاتى :

١ ــ **أوراق أدبية** ــ أدب الجماهير ــ ديسمبر ١٩٨٠ .

تحت الطبع :

١ ــ **الشخصية والبيئة الشعبية**	بقلم	على عبد الفتاح
٢ ــ **ابداع محمد يوسف**	بقلم	على عبد الفتاح
٣ ــ **المسهراتية**	مسرحية	محمد ناجى المشناوى
٤ ــ **عفوا رئيس الديوان**	مسرحيات	فؤاد حجازى
٥ ــ **كبد**	رواية	وجدى عبد الهادى
٦ ــ **عطش الصبار**	قصص	حنان أبو السعد



مطابع الوفاء - المنصورة

ارع الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب

ت : ٣٤٢٧٢١ - ص.ب : ٢٣٠

لكس : ٢٤٠٠٤ DWFA UN